



الاتجاهات المعاصرة في تطور دراسة العلوم اللغوية

الدكتور

أحمد عبد العزيز دراج

أستاذ علم اللغة المشارك
كلية الآداب للبنات - الرياض
وكلية الآداب - جامعة القاهرة

مكتبة الرشيد
ناشرون

الاتجاهات المعاصرة
في
تطور دراسة العلوم اللغوية

دكتور/ أحمد عبد العزيز دراج

أستاذ علم اللغة المشارك
كلية الآداب للبنات - الرياض
وكلية الآداب - جامعة القاهرة

مكتبة الرشد

ناشرون

٢٠٠٢/٥١٤٢٤م

③ مكتبة الرشيد ، ١٤٢٤هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

دراج ، أحمد عبد العزيز

الاتجاهات المعاصرة في تطوير دراسة العلوم اللغوية - أحمد

عبد العزيز دراج . الرياض ، ١٤٢٤هـ

ص ، ١٧ × ٢٤ سم

ردمك :

- ١

١٤٢٤/١٨٤٦

ديوى ٥١٥

رقم الإيداع :

ردمك :

حقوق الطبع محفوظة

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٢م

☆ مكتبة الرشيد ناشرون ☆

للمملكة العربية السعودية - الرياض - شارع الأمير عبد الله بن عبد الرحمن (طريق الحظر)

ص. ب. ١٧٥٢٢ - الرياض ١١٤٩٤ - هاتف : ٤٥٩٣٤٥١ - فاكس : ٤٥٧٣٣٨١

E-mail : alrushd@alrushdrh.com

www.rushd.com

الرياض : فرع طريق الملك فهد - قرب وزارة البلدية والقروية هاتف : ٢٠٥١٨٣١
فرع مكة المكرمة : شارع الطائف، مقابل مستشفى عوي التوحي : هاتف : ٥٥٨٣٥٠٦-٥٥٨٤٠١
فرع المدينة المنورة : شارع أبي ذر الغفاري : هاتف : ٨٢٤٠٦٠٠
فرع جدة : مقابيل ميدان الطلاب : هاتف : ٦٧٧٣٣١
فرع القصيم : بريدة - طريق المدينة : هاتف : ٣٢٤٢٢١٤
فرع أبها : شارع الملك فيصل : هاتف : ٣٣١٧٣٠٧
فرع النمام : شارع ابن خلدون : هاتف : ٨٢٨٢١٧٥

وكلاء في الخارج

الكويت : مكتبة الرشيد - حولي : هاتف : ٢٦١٣٣٤٧
القاهرة : مكتبة الرشيد - مدينة نصر : هاتف : ٢٧٤٤٦٠٥
بغداد : دار ابن جرير : هاتف : ٧٠١٩٧٤
البحرين : الدار البيضاء / مكتبة العلم : هاتف : ٣٠٣٦٠٩
تونس : دار الكعبة - حارة المشرفة : هاتف : ٨٩٠٨٨٩
البحرين : ص. ب. ١٠٣٢٥٦ : هاتف : ٦٠٣٢٥٦
البحرين : مكتبة الرشيد - الرياض : هاتف : ٩٥٧٨٣٣
الأمارات : الشارقة - مكتبة الرشيد - عناية : هاتف : ٥٦٣٣٥٧٥
مسقط : دمشق - دار الفکر : هاتف : ٢٢١١١٦
قطر : مكتبة الرشيد - الفجيرة : هاتف : ٤٨٦٣٥٣٣
الأردن : عمان - دار الفکر : هاتف : ٤٦٥٤٧٦١

قائمة المحتويات

الصفحة	قائمة المحتويات
٧	الإهداء
٩	مقدمة
١٣	توطئة
٣٤-١٥	أولاً : الفصل الأول : علم اللغة "المصطلحات والمفاهيم"
٥٤-٣٥	ثانياً : الفصل الثاني : الدراسات اللغوية القديمة
٣٧	١- الدراسات اللغوية السومرية ..
٣٧	٢- الدراسات اللغوية الهندية
٤١	٣- الدراسات اللغوية اليونانية واللاتينية .
٤٦	٤- الدراسات اللغوية العربية .
٧٠-٥٥	ثالثاً : الفصل الثالث : الدراسات اللغوية في عصر النهضة
٦٠	١- علم اللغة المقارن
٦٨	٢- إرهابات التجديد في العربية
١٤٨-٧١	رابعاً : الفصل الرابع : الدراسات اللغوية في القرن العشرين
٧٦	١- علم اللغة الوصفي
٨٦	٢- المدارس اللغوية الأوربية
٨٦	أ- مدرسة جنيف
٨٦	ب- مدرسة براغ
٩٢	ج- مدرسة كوينهاجن
٩٥	د- مدرسة لندن
٩٧	٣- المدارس اللغوية الأمريكية

الاتجاهات المعاصرة في تطور دراسة العلوم اللغوية

الصفحة	قائمة المحتويات
١٠١	أ- مدرسة بلومفيلد (السلوكية)
١٠٦	ب- النظرية التوزيعية
١٠٩	ج - النظرية التوليدية التحويلية
١٣٠	٥ - التطورات القائمة على النظرية النموذجية
١٣٤	٦- التطورات القائمة على المدارس الأخرى
١٣٩	٧- أثر اتصال علماء العربية بالفكر الغربي علي الدراسات اللغوية العربية
١٤٩	خامساً: الخاتمة
١٥١	سادساً: ثبت المصادر والمراجع

إهداء

إلى أستاذي ومعلمي الذي يصل سخاؤه العلمي إلى كل طلابه في
شتي أنحاء المعمورة، وينتشر شذي خلقه الطيب أينما حلت وأني
ارتحلت. إلى

الأستاذ الدكتور/محمود فهمي حجازي

إليك حيثما تكون بأقة شكر وامتنان

مقدمة

علم اللغة

علم موغل في القدم، وليس معلوماً على وجه الدقة متى ؟ ولا أين ؟ وضعت مبادئه الأولى، ربما ترجع إرهاباته الأولى إلى نشأة الحضارات القديمة نتيجة لحب الاستطلاع ، ورغبة الإنسان في دراسة الظاهرة اللغوية دراسة نظامية .

وتعد فكرة اختراع رموز كتابية - رغم أنها تكون ملبسة ومضللة في أحوال كثيرة - أعظم عمل لغوي عرفته البشرية ، فقد ساعد اختراع هذه العلامات على حفظ التراث البشري من الاندثار .

ويبدو جلياً أن البحث اللغوي ارتبط - بصورة أو أخرى - بالعقائد والاتجاهات الفكرية والاجتماعية ، فالدراسات اللغوية الهندية قامت قبل ٣٢٠٠ عام تقريباً (١٢٠٠ ق.م) بغرض فهم وتحليل الفيدا ككتاب مقدس بعد أن أصبحت هذه النصوص من القدم بحيث يصعب قراءتها وفهمها بصورة صحيحة، كما اقترنت الدراسات اللغوية العبرية بهدف ديني محض هو فهم لغة التوراة ، وهكذا الأمر بالنسبة للآرامية والسريانية وعلاقتها بدراسة الأناجيل في الديانة المسيحية، وقامت الدراسات اللغوية اليونانية واللاتينية في كتف الحركة الفكرية بأوروبا ، وكانت بداية الدراسات اللغوية العربية لأسباب عدة من أهمها الحفاظ على لغة القرآن من الخطأ واللحن بعد انتشارها في قارات العالم القديم .

ويعني هذا البحث بصفة خاصة بتبع تطور دراسة العلوم اللغوية منذ أقدم ما وصل إلينا حتى الآن مروراً بالتغيرات التي لحقت هذه الدراسات عبر الزمن .

ورغم توسل البحث بالمنهج التاريخي وأدواته في معالجة تطور الدرس اللغوي ، إلا أنني لم أغفل في الوقت ذاته عرض أهم القضايا والأفكار الأساسية وصفيًا ، وحرصت دائما على التوقف بين الحين والآخر لعرض النظريات اللغوية المميزة في علم اللغة وفروعه من أصوات وصرف ونحو ودلالة، وعرجت أحيانا على بعض المسائل والمبادئ الرئيسة عارضا وشارحا ومحللاً كلما اقتضت الضرورة ذلك ؛ واستعنت أحيانا بعدد من الأمثلة العربية لتقريب وشرح الفروض النظرية الأجنبية التي تتناسب مع العربية .

وأكاد أزعم أن هذه الدراسة تتميز عن الدراسات السابقة بما يأتي:

١- إنها تبدأ من المراحل الباكرة لنشأة علم اللغة في كنف علم الكلام، وتتابع مراحل نمو هذه الدراسة وتطورها وإفادتها من الثورة الصناعية والتكنولوجيا والمعلوماتية .

٢- إن هذه الدراسة لم تقتصر على منطقة بعينها ، وإنما عيّنت بعلم اللغة ومناطق تطوير دراساته في الغرب أو الشرق دون تمييز ، انطلاقاً من مبدأ عالمية العلم.

٣- إن هذه الدراسة معنية بدرجة ما بالثقافة اللغوية للإنسان العربي ، فضلاً عن عرض وتناول النظريات اللغوية بتبسيط - غير غمل - وتفصيل للمتخصصين في الدراسات اللغوية .

هذا ما وددت أن أشير إليه في مقدمة هذا البحث، وأكاد أزعم أن بين دفتي هذا الكتاب مادة يفيد منها الباحثون على اختلاف مشاربهم .

إن علم اللغة المعاصر ليس منقطع الصلة عن أصوله الأولى ، بل هو تطور تدريجي وتراكم معرفي، فهو محصلة وثمره للماضي، وفي الوقت نفسه هو دعامة لاغني عنها في بناء صرح العلوم والحضارات البشرية السالفة والآنية والمستقبلية .

من هذه النقطة ننطلق نحو الهدف المنشود بقوة دفع الماضي ، وبأمل في مستقبل أفضل للدراسات اللغوية تكشف اللثام عما خفي على البشرية من أسرار اللغة عبر القرون، ورغبة في زيادة الوعي بالذات اللغوية أقدم للقارئ الكريم هذا العمل المتواضع .

**والله من وراء القصد
المؤلف**

— — — — — — — — — —

توطئة :

اللغة بمفهومها الواسع منظومة بشرية عظيمة الشأن في حياة البشر على مر العصور، وأهم وظائفها تحقيق الوجود الاجتماعي الأمثل له بالتوازي مع ما تحققه المؤسسة الحيوية من وجود بيولوجي للإنسان بتكامل الأجهزة المختلفة للجسم - عصبية وتنفسية وهضمية ودورية وغيرها - لخدمة المؤسسة الحيوية الكبرى .

واللغة كمؤسسة بيولوجية عرفية تتألف من مجموعة الأجهزة والأنظمة المتكاملة معاً ، فهي تعتمد في كينونتها على أجهزة بيولوجية كالأجهزة العصبية والتنفسية والعضلية لإنتاج مجموعة أنظمة صوتية وصرقية ونحوية ودلالية .

إن اللغة بهذا المفهوم الموسع : نظام عرفي مركب ومعقد في آن واحد، تلمحظه ولا تدرك كنهه إلا بالتحليل إلى نظم مجردة عند المتخصصين ، و اللغة على حد تعبير أحد اللغويين المعاصرين "قوام الحياة" وعمادها الأول حيث برزت لهم أهميتها في المجتمع ، والأمر لا يقتصر على هذا فحسب ، بل إنه لم يعد حكراً على رجال اللغة وحدهم ، وإنما يشاركهم في الاهتمام بها أهل الاختصاص في حقول علمية أخرى ذات صلة مباشرة بالإنسان وحاجته في الحياة.

فقد اهتم باللغة علي المستوي العام علماء الاجتماع والأنثروبولوجي وعلماء النفس والتربية، والمشتغلون بوسائل الاتصال ورجال الإعلام والدعاية... والمهتمون بتعليم اللغات الأجنبية^(١) وغيرهم من علماء الرياضيات والبرمجيات لدرجة جعلتهم يعتبرون الجيل الخامس حاسبا لغويا بالدرجة الأولى، فهدف هذا الجيل من الحاسبات كسر العزلة اللغوية أملا في السيطرة على سوق المعلوماتية^(٢).

(١) د / كمال بشر ، علم اللغة الاجتماعي ٢٧

(٢) د / نبيل على ، العرب وعصر المعلومات ٣٤٩

أما حد اللغة على المستوى الخاص فهو عند ابن جنى إنها أصوات، يعبر بها كل قوم عن أغراضهم^(١) وهو أخصر وأدق تعريف لها وفق آراء اللغويين القدامى والمحدثين^(٢) جمعت فيه الخصائص الآتية للغة :

- أ- الطبيعة الصوتية للغة كمشج .
- ب- الوظيفة الاجتماعية لها ، كوسيلة تعبير وتبادل المعلومات .
- ج- الخصوصية الجغرافية والاجتماعية لكل لغة .
- هذه الخصائص أضيفت لها خصائص أخرى لدى المحدثين^(٣) .
- أ- الإبداع في اللغة . ب- ثنائية التركيب (ازدواجية التنظيم)
- ج- التحول اللغوي . د- الانتقال التقليدي .

وقد أضاف دى سوسير^(٤) في تعريفه للغة معنى آخر فضلا عما أثبتته ابن جنى في تعريفه ، ألا وهو وجود مجموعة من الخبرات الضرورية في أدمغة أفراد المجتمع لتمكينهم من ممارسة ملكة اللغة^(٤)

بعد هذه التوطئة الموجزة عن اللغة بمفهومها العام والخاص ، أقترح تناول موضوع البحث وفق التقسيم التالي :

- (١) ابن جنى ، الخصائص . ٣٤/١
- (٢) انظر : مقولة ابن خلدون " اعلم أن اللغة في المعارف عبارة المتكلم .. (إلى) . بحسب اصطلاحهم - مقدمة ابن خلدون ٥٤٦ . د / محمود فهمي حجازي ، علم اللغة العربية ٩ ، د / عبد الصبور شاهين ، العربية لغة العلوم والتقنية ٢٧ .
- (٣) انظر : مفاهيم الإبداع وثنائية التركيب وغيرها في Noam chomsky , Aspects of the theory .. P 3 , 4 جون ليونز ، نظرية تشومسكي اللغوية " مترجم " ٤٩ : ٥٧ ، د / ميشال زكريا ، الألفية " علم اللغة الحديث " ٢٩
- (٤) ف . دى سوسير ، فصول في علم اللغة العام ٢٨ ، ٢٩

الفصل الأول

أولاً : علم اللغة (المصطلحات والمفاهيم)

لاغني للفرد في أي لغة من لغات البشر عن استخدام المصطلحات الفنية اقتصاداً للجهد لأنها تدل على أقسام وأصناف^(١) ومحاولة الإنسان تقسيم المفردات وتصنيفها يقوم في الأصل على معايير متفق عليها بين أصحاب التخصص الواحد ؛ ومن أهم شروط اختيار المصطلح أن يكون جامعاً مانعاً في آن واحد .

وقد تنوعت تعريفات المصطلح وحدوده قديماً وحديثاً في كل لغات العالم ، وهذا ما عرضه بإسهاب الدكتور محمود فهمي حجازي وغيره^(٢) ، وأفضل هذه التعريفات وأصدقها عند اللغويين مانص عليه بقوله الكلمة الاصطلاحية أو العبارة الاصطلاحية مفهوم مفرد أو عبارة مركبة ، استقر معناها أو - بالأحرى - استخدامها وحدد بوضوح ، وهو تعبير خاص ضيق في دلالة المتخصصة ، وواضح إلى أقصى درجة ممكنة ، وله ما يقابله في اللغات الأخرى ، ويرد دائماً في سياق النظام الخاص بمصطلحات فرع محدد فيتحقق بذلك وضوحه الضروري^(٣) .

انطلاقاً من نص التعريف الذي ارتضيناه للمصطلح ، تبرز مجموعة من السمات الأساسية التي ينبغي توفرها في المصطلح العلمي ، نوجزها على هيئة عناصر في :

أ - الشكل : كلمة مفردة أو عبارة مركبة .

(١) Halliday , M. and other , The linguistic Science P . 7

(٢) انظر بالتفصيل : د/ محمود فهمي حجازي ، الأسس اللغوية لعلم المصطلح ٨ ، د/ عبد الصبور شاهين ، العربية لغة العلوم والتقنية ٢٧ ، إدريس تقوي ، مدخل إلى علم الاصطلاح ١٣ ، ١٤ وما بعدهما .

(٣) المصدر السابق ١٢ ، وانظر : د/ عبد الصبور شاهين ، العربية لغة العلوم والتقنية ١٢٢ .

- ب- النوع : متخصص محدد الدلالة .
ج- الحالة : تعني الاستقرار في المجتمع أو بين أفراد التخصص الواحد ، وصار
مألوف الاستخدام .
د - الوضوح : ينبغي أن يحقق أقصى درجات الوضوح ، وله ما يقابله في
اللغات الأخرى .

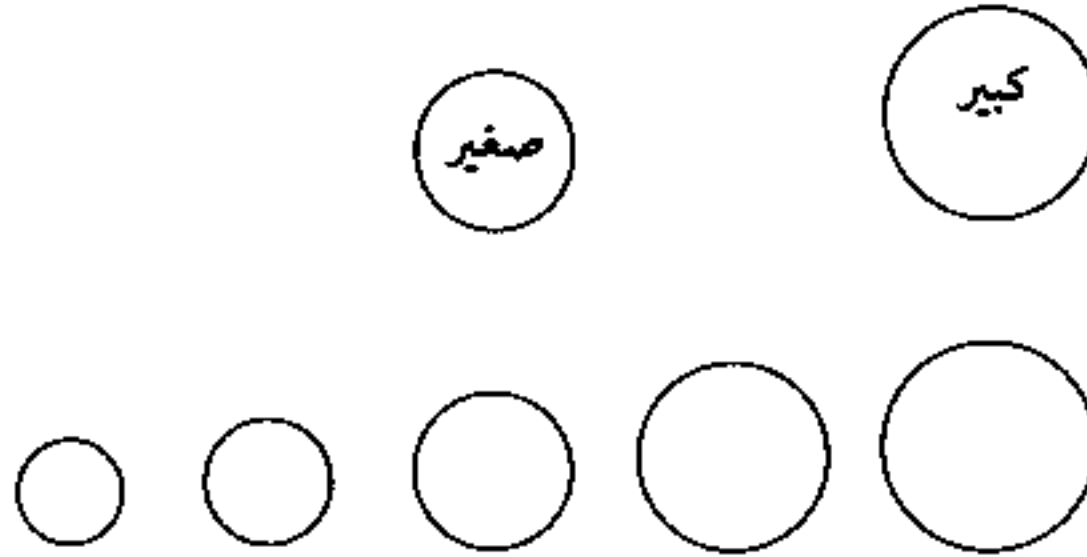
يتبين لنا عند تطبيق هذه السمات على مصطلح علم اللغة ومقابله في
اللغات الأخرى (١) أنه قد مر بعدد من التحولات في البنية والمفهوم، فكل
مصطلح جديد يؤثر على المصطلح أو المصطلحات الأقدم من جهة المفهوم، لأنهما
لا يستخدمان بدلالة واحدة في وقت واحد بتخصيص ما وفق رأي كريستال (٢) .

فمفهوم مصطلح علم اللغة بدلالته ومجالاته المعاصرة لم يظهر بينته
ومفهومة في مرحلة زمنية واحدة ، وإنما ظهر على فترات ومراحل تدريجية ، نتيجة
تعدد المصطلحات وتداخل المفاهيم ، كما يحدث -علي سبيل المثال - عادة إذا
كان هناك شيان مجعنين مختلفين ، فإننا نطلق على أحدهما صغير وعلى
الأخر كبير ، وعند إضافة شيء أو أكثر بأحجام أخرى إلى الحجمين
السابقين، فهذا يستوجب إعادة تصنيف الأشياء حسب أحجامها مرة أخرى ،
لاختلاف مفهوم الكبر والصغر وفقا للتغيرات الجديدة ، حسب ما هو موضح
بالشكل التالي :

(١) في الإنجليزية linguistics وهي الفرنسية linguistique ، وهي الألمانية Sprachwissenschaft ،
وهي العبرية

(٢) Crystal, A. Linguistics P. 91

الحالة الأولى



الحالة الثانية

فالدوائر المختلفة الأحجام لا يمكن قصر تصنيفها بين كبير وصغير فحسب كما في الحالة الأولى، وإنما حسب النسب التي استجدت بينها كما في الحالة الثانية . وبناء على ذلك سنتناول هذه المصطلحات وتطورها تاريخياً من الأقدم للأحدث، أو حسب المعنى إذا اقتضت الضرورة .

١/أولاً: علم النحو Grammatikos ق ٦ ق.م

لم يكن لهذا المصطلح في الحضارة اليونانية معنى أكثر من فهم الحروف ، كما يشير إلى ذلك استخدام لفظ Grammatikos للشخص الذي يفهم ويستعمل (يقراً ويكتب) الحروف حتى ظهور أفلاطون وأرسطو ، ثم تطور معنى المصطلح على يد الأجيال التالية ليدخل فيه بعض موضوعات علم اللغة بالمفهوم المعاصر .

أما قبل ذلك فقد كانت المسائل اللغوية تعالج تحت عنوان Philosophia^(١) الفلسفة مع بقية المعارف الإنسانية الأخرى .

والنحوثة هو القصد والطريق والجهة، والجمع: أنحاء .

وفي الحضارة العربية يؤرخ لظهور مصطلح النحو في القرن الثاني الهجري ، وكان المصطلح يقصد به تحليل بنية اللغة العربية ؛ وتأسيسا على ذلك صنف كتاب سيويه بأنه كتاب في النحو ، وهو بهذا المفهوم أيضا يضم مجموعة من الدراسات التي تصنف ضمن موضوعات علم اللغة الحديث^(٢) .

بعد ذلك ائحرفت دلالة مصطلح النحو في العربية شيئا فشيئا حتى وصلت إلى مفهوم : العلم الذي يعنى بأواخر الكلم من إعراب وبناء ، وصارت حركات الإعراب والعامل والقياس من أهم دعائم علم النحو ، بما في ذلك قضايا الاشتقاق وما حولها من المسائل الصرفية ، ثم انفصل مفهوم النحو عن الصرف حتى صار مفهوم علم النحو هو : العلم الذي يعالج قضايا ترتيب وتنظيم عناصر الجملة ووظائفها وهو يختلف عن مفهومه عند غيرهم .

فمفهوم النحو عند أنصار المدرسة التوليدية هو : العلم الذي يتناول وصف الجملة السليمة في اللغة مع تحليلها . وأطرف ما قيل عن النحو فإنه إبداع^(٣)

(١) لمزيد من التفصيل انظر : د/ أحمد مختار عمر ، البحث اللغوي عند العرب ٥٩ ر . هـ روينز ، موجز تاريخ علم اللغة مترجم ٢٨ .

(٢) د/ محمود فهمي حجازي ، علم اللغة العربية ٥٩ ، ٦٠ : ٦٢ وانظر مفهوم مصطلح النحو عند ابن جني ، الخصائص ٢٥/١ " هو انتحاء سمت كلام العرب ، في تصرفه من إعراب ... كالتثنية ... والتركيب وغير ذلك ، استخدم المفارقة مصطلح "علم العربية" بمعنى النحو في بعض مؤلفاتهم انظر : الممتع لابن عصفور ٢٧/١ .

(٣) د . مصطفى ناصف ، النحو والشعر مجلة فصول ع ٣ / ١٩٨١

وفى اللغات الأوربية استخدم مصطلح Grammar , Grammatik لفهوم العلم الذي يعنى بالقواعد المنظمة للغة كنظام تعبير فعال حسب دي سوسير (١). وهو يشبه إلى حد بعيد القواعد المنظمة للمرور في كل بلد على حده.

أما الـ Syntax ((ستاكس)) فيقصد به دراسة القوانين المنظمة لتركيب العبارات والجمل نحوياً أي أنه علم التركيب ، والنحو يشمل علمي التركيب والصرف.

وهناك تعريف آخر لـ Syntax ((ستاكس)) أرى أنه أكثر دقة : هو العلم الذي يتكون من مجموعة من نماذج الجمل في لغة ما من اللغات .

٢/ أولاً : علم أصول النحو

استخدم هذا المصطلح في الثقافة الإسلامية للعلم الذي يبحث في أدلة النحو ، والأسس المنهجية لتحليل النحوي ، وأول من استخدم هذا المصطلح هو "أبو بكر محمد بن السراج ت ٣١٦ هـ" في كتابه : الأصول في النحو ، وقصد به علم استخراج الحكمة من كلام العرب (٢) وقد نص الأنباري على استقلال علم أصول النحو عن اللغة والنحو والتصريف والعروض وغيرها ، ثم استخدم هذا المصطلح في كتب أخرى منها على سبيل المثال لا الحصر كتاب الاقتراح في علم أصول النحو للسيوطي (٣) .

(١) دي سوسير ، فصول في علم اللغة العام ٢٢٢

(٢) ابن السراج ، الأصول في النحو ٢٥/١

(٣) د/ محمود فهمي حجازي ، البحث اللغوي ١٥ وانظر : أصول النحو عند د/ حلمي خليل ، علم اللغة البنيوي ٢٢

٣/ أولاً : العربية / علم العربية .

هو أحد المصطلحات التي شاع استخدامها بمعنى : النحو ، ويبدو أنه كان متداولاً بين النحاة القدامى ، فقد ذكره ابن جنى (١) في كتابه اللمع في العربية ، وهو لا يشمل إلا أبواب النحو غالباً . وذكر صاحب الفهرست في موضوع فن ابتداء الكلام في النحو ... كان عبد الرحمن بن هرمز أول من وضع العربية (٢) .

واستخدم ابن فارس مصطلح علم العربية بمعنى النحو أيضاً (٣) واستتج الدكتور محمود فهمي حجازي (٤) أن المشاركة استخدموا المصطلحين معاً بمعنى النحو ، وهذا يمثل ظاهرة منفردة ، بينما فضل الأندلسيون والمغاربة استخدام مصطلح علم العربية .

٤/ أولاً : معاني النحو .

مصطلح متداول في الثقافة الإسلامية ، ونسب إلى أبي سعيد السيرافي (ت ٣٦٨ هـ) مقولة : إن معاني النحو منقسمة بين حركات اللفظ وسكناته وبين وضع الحروف في مواضعها المقتضية لها ، وبين تأليف الكلام بالتقديم والتأخير ... (٥) وأصبح مصطلح معاني النحو يعد ذلك نواة لما يسمى بعلم المعاني ، وهو قسم من أقسام علم البلاغة التي تعنى بالعلاقات بين الكلمات في أساق الجمل .

٥/ أولاً : اللغة

استخدم مصطلح اللغة عند الخليل وسيبويه بمعنى اللهجة مثل لغة هذيل

- | | |
|-----|---|
| (١) | د / ابن جنى ، اللمع في العربية ٢٢ |
| (٢) | ابن النديم ، الفهرست ٥٩ |
| (٣) | انظر : ابن فارس ، الصاحي في اللغة ٥٥ |
| (٤) | د / محمود فهمي حجازي ، علم اللغة العربية ٦٢ |
| (٥) | د / محمود فهمي حجازي ، البحث اللغوي ١٢ |

ولغة تميم ولغة عقيل واقرن مصطلح "اللغة" لغوي بكل عمل يقصد به جمع مفردات اللغة وتصنيفها حسب معانيها أو دلالاتها ، وعُدَّ كل من قام بهذا العمل في عداد اللغويين ، ولذلك فرق ابن الأتباري بين العمل بالعربية والعمل باللغة في النص هو العلم المشهور في علم القراءة واللغة والعربية (١) ومن ثم فإن قضية الفصل بين مصطلح النحو (أو العربية) ومصطلح اللغة كانت واضحة تماماً في أذهان علماء العربية (٢) ووجد هذا التمييز صداه في كتب الطبقات ، فالخليل صاحب معجم العين ، والأصمعي صاحب الرسائل اللغوية وأبو عبيد وابن دريد والأزهري وغيرهم يعدون من اللغويين لأنهم ألفوا في المفردات ودلالاتها .

٦/ أولاً: فقه اللغة Philology (٣)

يؤرخ لظهور مصطلح Philology في الدراسات اللغوية اليونانية بأوائل القرن الأول قبل الميلاد، بعد انتقال مركز العلم من المدرسة الرواقية (٤) إلى مدرسة الإسكندرية، وعرف هذا المصطلح قديماً باسم علم النصوص وهو يتناول تحقيق المخطوطات وفك رموز الكتابات والتفوش القديمة ومعالجة نصوصها وخاصة النقاط الصعبة فيها ، ولكن التوسع في استخدام هذا المصطلح يعزى إلى

- (١) ابن الأتباري ، نزهة الألباء في طبقات الأدياء ٢٤ ، وانظر د/ محمود فهمي حجازي ، علم اللغة العربية ١٥
- (٢) انظر هذه المسألة في: السيوطي ، المزهر في علم اللغة ٥٩ / ١ .
- (٣) يتكون هذا المصطلح من كلمتين يونانيتين هما: Philos بمعنى "حب" ، Logos بمعنى "درس/ علم" واستخدم اللفظ في الإنجليزية بمعنى "دراسة التراث القديم في أوائل القرن الرابع عشر - انظر Ebster's, Encyclopedic. P1081,843 وانظر Logos بمعنى: المنطق، العقل ، الحكمة في اللغة اليونانية د/ محمد عناني ، المصطلحات الأدبية الحديثة ٥١ .
- (٤) كان مركزها في مدينة "برجاموم" وسيطر على هذه المدرسة أصحاب مذهب الشنوذ اللغوي، بينما اشتهرت مدرسة الإسكندرية بالمذهب القيامي انظر ر.هـ . روبرتس، موجز تاريخ علم اللغة

الحركة العلمية التي ظهرت في القرن الثامن عشر على يد فريدريك أوجست "Friedrich August wolf" (١) .

ولا يقتصر مفهوم هذا المصطلح علي دراسة اللغة في رأي ماريو باي (٢) بل يضم إلى جانبها دراسة الثقافة والتاريخ والتقاليد والنتاج الأدبي * ومن جهة أخرى نوه الدكتور محمود فهمي حجازي (٣) إلى أن الباحثين الألمان ميزوا منذ القرن التاسع عشر بين العمل الفيلولوجي ومصطلحه Philologie وعلم اللغة الذي يستخدم له المصطلح 'Sprach wissenschaft' وأيد في الوقت نفسه خروج العمل الفيلولوجي عن علم اللغة، ومعنى آخر يُعد هذا العلم أساساً لعلم اللغة ولغيره من العلوم التي تعتمد على النصوص .

وترسيخاً لهذا المصطلح استعارته المدرسة المقارنة في علم اللغة ضمن المصطلح المركب "Comparative Philology" لمفهوم الدراسات التي تبحث في علاقة كل لغة من أسرة ما ببقية أفرع هذه الأسرة في إطار الاهتمام بالنصوص القديمة تاريخياً (٤) ، وكانت هذه البحوث بالطبع نتيجة الكشوف الأثرية التي تحققت في تلك الفترة بالنسبة للغة السنسكريتية وعلاقتها بالأسرة الهندوأوربية ، واكتشاف اللغة الأكادية والأوجارنية وعلاقتها بأسرة اللغات السامية، فضلاً عن النقوش العربية الجنوبية التي اكتشفت خلال القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ومقارنتها باللغات السامية الأخرى كالعربية (الشمالية) والعبرية

(١) Lyons, Introduction to theoretical ling. P. 8 : 10 (انظر: د/ أحمد مختار عمر ، البحث

اللغوي عند العرب ٥٩ : ٦١

(٢) ماريو باي "أصغر علم اللغة" مترجم . ٣٥

(٣) د/ محمود فهمي حجازي ، علم اللغة العربية ٣٣

(٤) المصدر السابق ٣٣

والآرامية (وفروعها) والحبشية وغيرها .

وبمقارنة المصطلح الغربي Philology بالمصطلح الذي يرادفه في العربية نجد أننا بإزاء مصطلحين هما :

أ- فقه اللغة .

ب- علم الفيلولوجي .

ويمثل تناول مفهوم مصطلح فقه اللغة إشكالية موضوعية بسبب تداخل مفهومه مع مفاهيم أخرى ، ومن ثم ينبغي الفصل والتمييز بين هذه المفاهيم .

الأول / ٦ : المفهوم القديم لفقه اللغة :

مما لا شك فيه أن ظهور المصطلح لأول مرة يرجع إلى ابن فارس في كتابه الصاحبي في فقه اللغة ، ثم وجد المصطلح ذاته عنوانا لكتاب الثعالبي فقه اللغة وسر العربية كما أكد المحدثون^(١) ذلك بالنصوص المقتبسة من الكتابين ؛ ثم ذكره ابن خلدون وغيره .

إذن . هل اتفقت تلك الكتب حول مفهوم المصطلح ؟

نستخلص مما عرض في متون الكتب قديمها وحديثها أن مفهوم فقه اللغة عند ابن فارس^(٢) قصد به : العلم الذي يتناول القضايا والقوانين التي تخضع لها الاستعمالات اللغوية والكشف عن خصائصها ؛ أما مفهوم المصطلح عند الثعالبي

(١) د/ عبده الراجحي ، فقه اللغة في الكتب العربية ٤٢ : ٥١ ، د/ محمود فهمي حجازي ،

علم اللغة العربية ٦٥ : ٦٦ د/ محمد حسن عبد العزيز ، مدخل إلى علم اللغة ١٨٠ : ١٨٢

(٢) انظر : ابن فارس ، الصاحبي في فقه اللغة ٢ ، ٤٤ ، ٤٥ ، الثعالبي ، فقه اللغة

وسر العربية ١٢ : ٢٠٧

فقد اقتصر على دراسة الألفاظ وفق تعبير الدكتور عبده الراجحي^(١) وهذا ما أرجحه ، بينما ذهب أستاذي الدكتور محمود فهمي حجازي إلى أن موضوع فقه اللغة عند كليهما هو معرفة الألفاظ العربية ودلالاتها ، وتصنيف هذه الألفاظ في موضوعات وما يتعلق بذلك من دراسات^(٢) .

وأرى أن المفهوم الذي عبر عنه الدكتور محمود فهمي حجازي يصدق على القسم الأول فقط من كتاب فقه اللغة..... للثعالبي، وأرجح أن استخدام ابن خلدون^(٣) لمصطلح فقه اللغة تحت عنوان علم اللغة قصد به ، معرفة الفروق بين الألفاظ المختلفة لفظاً والمتفقة معنى، ومعرفة المترادف والمشارك منها .

ومصطلح فقه اللغة بمفاهيمه التي طرحت من قبل لا تتطابق مع مفهوم الفيلولوجيا في الغرب . ويبدو لي أن ما استخلصه الدكتور عبده الراجحي^(٤) من المقارنة بين موضوعات كل منهما أصابت عين الحقيقة، حيث يرى أن موضوعات فقه اللغة عند قدامى اللغويين لا تخرج عن الموضوعات التي يتناولها علم اللغة كالعناية بالتركيب والعلاقة بين الوحدات اللغوية التي طرحها ابن فارس ، وإن اختلفت مناهج دراسة علم اللغة بين العربية واللغات الأوربية .

الثاني/٦ : المفهوم الحديث لفقه اللغة .

ظل استخدام مصطلح فقه اللغة بمفهومه القديم مستخدماً في الدراسات اللغوية حتى أوائل القرن العشرين ، وعندما استقدمت الجامعات العربية بعض

(١) د / عبده الراجحي ، فقه اللغة في الكتب العربية ٥١

(٢) د / محمود فهمي حجازي ، علم اللغة العربية ٦٦

(٣) راجع نص (ابن خلدون في مقدمته ٥٤٩) والذي يبدأ بـ ... واحتاج إلى فقه في اللغة عزيز المأخذ كما وضع الأبيض بالوضع العام لكل ما فيه بياض ...

(٤) د / عبده الراجحي ، فقه اللغة في الكتب العربية ٥٦

المستشرقين للتدريس في كليات الآداب بدأ البحث عن مصطلح مقابل للمصطلح الأوربي "Philology"، وفي هذا الوقت بالذات، كان المصطلح المذكور يمر بحالة من عدم الاستقرار، عبر عنها الدكتور على عبد الواحد وافى بقوله بقى من البحوث اللغوية ما يسمونه "الفيلولوجيا Philologie وهو بحث غير محدد النطاق ولا متميز الحدود، وذلك أن مدلول هذه الكلمة قد اختلف كثيرا باختلاف العصور وباختلاف الأمم، ولا يزال العلماء يختلفون في فهمها وإطلاقها.^(١) فمسألة اختلاف مفهومها لا شك فيه، وتنازعه الموضوعات التالية:

- أ- دراسة قواعد لغة ما صرفا ونحواً ونقداً لنصوصها وتاريخ أدبها.
- ب- دراسة الحياة العقلية لمجتمع ما أو مجتمعات متعددة.
- ج- دراسة القوانين اللغوية، وسر تطورهما، ومقابلة اللغات في النحو والصرف والبلاغة، أي أنه يتضمن تاريخ الأدب والفلسفة والأديان.. وهلم جراً.

من هذه المنطلقات التي يتداخل فيها فقه اللغة بمعناه ومفهومه التراثيين مع علم اللغة في مفاهيمه من جانب آخر، تراءى لبعض الباحثين أن ذلك أن أفضل مصطلح يقابل الفيلولوجي هو: فقه اللغة. ولذا نجد أن الدكتور على عبد الواحد وافى وغيره^(٢) قد ساورا بين فقه اللغة من ناحية وعلم اللغة من ناحية أخرى لوجود بعض أوجه التشابه في الموضوعات التي يعالجها كل علم منهما.

وفي رأى الدكتور تمام حسان^(٣) يعد فقه اللغة أقرب في موضوعه إلى الفيلولوجيا منه إلى علم اللغة، أما الدكتور محمود فهمي حجازي فيرى أن العمل

(١) د/ على عبد الواحد وافى، علم اللغة ١٤

(٢) انظر: د/ محمد المبارك، فقه اللغة ٢٩، د/ رمضان عبد التواب، فصول في فقه العربية ١٠

(٣) انظر: د/ تمام حسان، الأصول ٢٦٧ وما بعدها

الفيلولوجي يعتبر أساساً لعلم اللغة ولغيره من العلوم التي تعنى بتفسير النصوص وتحليل معانيها^(١)

يتضح مما سبق أن مصطلح 'فقه اللغة' كان إلى عهد قريب - لدى كثير من الباحثين العرب - وما زال عند جماعة من الباحثين يعنى مجموعة الدراسات اللغوية دون تمييز بينه وبين مصطلح 'علم اللغة' ، وأظن أنه لم يعد مقبولا استمرار هذا التداخل المفاهيمي والمصطلحي بعد أن استقر مفهوم ومصطلح علم اللغة في الشرق والغرب ، كما سنوضح فيما بعد .

٧ / أولا : علم اللغة Linguistics

لم يحظ مصطلح Linguistics - بمعنى علم اللغة - بالاستقرار في الدراسات اللغوية الغربية ، إلا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر^(٢)؛ وتظهر الدراسات السابقة في علم اللغة أن المصطلح 'Language' قد استخدم بمعنى اللغة في الفترة الزمنية التي سبقت استقرار المصطلح^(٣) والمصطلح المقابل لـ "Linguistics" في الألمانية هو Sprachwissenschaft الذي استخدم منذ القرن التاسع عشر حتى الآن ، وقد فضل بعض المحدثين الألمان استخدام المصطلح "Linguistik" الأوربي ؛^(٤) ويقابله في الفرنسية Linguistique وفي الإسبانية Lingüística وفي الإيطالية Linguistica وجميع هذه المصطلحات (عدا الألمانية) ترجع في الأصل إلى اللفظ Lingua بمعنى لسان/ لغة في اللاتينية .

وقد أضاف بعض المعاصرين ألفاظا أخرى للمصطلح لتخصيص دلالاته ،

(١) د / محمود فهمي حجازي ، علم اللغة العربية ، ٢٤

(٢) المصدر السابق "حاشية" ٣٢

(٣) L. Bloomfield , Language , London 1935

(٤) Amirova , und ., Abreiß der geschichte der linguistik. Ins Deutsche üb. 1980

Nickei , gerhard. Einführung in die linguistik 1985 .

ومنها General Linguistics بمعنى: علم اللغة العام^(١) واستخدم مصطلح Modern Linguistics بمعنى: علم اللغة الحديث^(٢) للتمييز بين مفهومه الأقدم .

ولا ينفي تباين الآراء حول تحديد تعريف جامع مانع - بصورة قاطعة - لهذا المصطلح حديثاً وجود قدر من الاتفاق حول سمات تتوافر في مفهوم المصطلح أهمها: النظام والدقة والموضوعية .

ويبدو لي أن أخصر تعريفات هذا المصطلح إنه العلم الذي يدرس اللغة في حد ذاتها، ومقصودة لذاتها دراسة علمية^(٣) وهذا التعريف يصدق على مفهوم المصطلح 'علم اللغة في العربية حديثاً' .

أما مصطلح 'علم اللغة الذي استخدم في العربية قديماً فله مفاهيم أخرى مغايرة . ويعد ابن خلدون^(٤) أول من استخدم هذا المصطلح ، وقصد به علم صناعة المعاجم من تقليب وتصنيف للمفردات ودلالاتها الحقيقية والمجازية ، كما فعل الزمخشري ، ويضم أيضاً العلاقة بين المفردات من جهة المعنى كالترادف والاشتراك والتضاد . ثم ألف 'السيوطي' كتاباً تضمن بعض هذه الموضوعات وعنونه بـ 'المزهر في علوم اللغة وأنواعها' ، ثم تواتر استخدامه بعد ذلك في كتب المتأخرين والمحدثين .

(١) انظر: د/ محمود قهسي حجازي ، علم اللغة العربية ٤٣ ، د/ رمضان عبد النواب ، فصول في فقه اللغة ١١

(٢) انظر: د/ محمد حسن عبد العزيز ، مدخل إلى علم اللغة ٢٣

(٣) D . Crystal , Linguistics P . 77

(٤) انظر: ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ٥٤٨ ، ٥٤٩ . د/ عبده الراجحي ، فقه اللغة في الكتب العربية ٣٧ ، ٣٨

إن علم اللغة بمفهومه المعاصر يعتمد على اللغة وحدها في تفسير الظواهر اللغوية ، ويعتني بدراسة التراكيب والمفردات ودلالاتها دون تمييز بين لغة وأخرى ، أو لهجة ولهجة ، لايهمل اللغة الشفاهية لحساب النصوص المكتوبة ، فهو يتعامل معهما بحياد تام وموضوعية ، ويتوسل بالدقة والشمول .

وبالتزام هذه الأسس العلمية دخل علم اللغة في نطاق العلوم التجريبية لاعتماده على التطبيق ، فوظف المنهج العلمي في بحث مستويات اللغة سواء بسواء لا فرق بين قديم وحديث . وشملت هذه الدراسات اللغوية الجوانب الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية .

وعلى حد تعبير دي سوسير فإن الموضوع الرئيسي لعلم اللغة يتضمن كل مظاهر الكلام الإنساني سواء أكان لأمم متخلفة أم متحضرة ، أو من اللغات المهجورة أو الكلاسيكية^(١) بعيدا عن مبدأ التمايز العرقي الذي وضعه فريق من علماء اللغة الأوربيون .

٨ / أولا : علم متن اللغة

هذا المصطلح استخدمه بعض المؤلفين العرب لمعنى دراسة مفردات اللغة ، ونسب إلى صاحب شرح التلخيص ، والمرصفي في الوسيلة الأدبية إلى العلوم العربية ، وحمزة فتح الله في المواهب الفتحة في علوم العربية^(٢) فالمصطلح بهذا المفهوم يرادف مصطلح علم اللغة لأنه يتناول أحد موضوعاته وهي المفردات ومعانيها .

(١) ف . دي سوسير ، فصول في علم اللغة العام ٢٥ ، وانظر بعد ذلك بالتفصيل : د / محمود فهمي حجازي ، البحث اللغوي ٢٢ ، ٢٣
(٢) د / محمود فهمي حجازي ، علم اللغة العربية ٦٧

٩/ أولاً : علم اللسان / علوم اللسان .

نسبت أول محاولة لوضع علوم اللغة في نسق واحد إلى الفارابي ، حيث أطلق عليها علم اللسان ، إلا أنه أدخل فيه موضوعات أدبية كدراسة الشعر والنثر ، بينما يرجع استخدام مصطلح علوم اللسان لأول مرة بمعنى علوم اللغة إلى أبي حيان ، وقصد به : علم اللغة ، وعلم التصريف ، وعلم النحو . ويتناول علم اللغة مفردات الكلم ومعانيها ، ويعالج علم التصريف أحكام المفردات قبل التركيب ، ويدرس علم النحو أحكام المفردات عند تركيبها ^(١) ، وهو بهذا المفهوم لم يغادر شيئاً من علوم اللغة . أما استخدام ابن خلدون لمصطلح علوم اللسان فقد شمل إلى جانب موضوعات علم اللغة علمي البيان والأدب ، وهما يتبعان للدراسة الأدبية ^(٢) .

١٠/ أولاً : اللسانيات / الألسنية / الألسنيات ^(٣)

تراكم في الآونة الأخيرة عدد من المصطلحات المرادفة لمصطلح علم اللغة - وعفهومه - عند اللغويين العرب في الشام والمغرب العربي ^(٤) ، أحيانا يطلق مصطلح الألسنية مقترنا بعلم اللغة ، وأحيانا أخرى يطلق المصطلح منفرداً ^(٥) ووضع مصطلح اللسانيات بمعنى مساوٍ لعنى علم اللغة عند فريق آخر ^(٦) .

(١) انظر : المصدر السابق ٦٩ ، ٧٠

(٢) انظر : ابن خلدون ، مقدمة ابن خلدون ٥٤٥

(٣) انظر : د/ محمود فهمي حجازي ، علم اللغة العربية ٤٧

(٤) اقصد به : دول الشمال الأفريقي العربية تونس والجزائر والمغرب

(٥) ريمون طحان ، الألسنية العربية - بيروت ١٩٧٢ ، د/ ميشال زكريا ، الألسنية (علم اللغة

الحديث - بيروت ١٩٨٣ ، د/ ميشال زكريا ، الألسنية التوليدية والتحويلية -

بيروت ١٩٨٣

(٦) د/ عيد القادر الفاسي القهري ، اللسانيات واللغة العربية المقرب ١٩٨٥ ، جصري سامسون ،

مدارس اللسانيات التسابق والتطور ترجمة د/ محمد زياد كبة السعودية ١٩٩٧

وتشكل مسألة تراكم المصطلحات المترادفة المفهوم إشكالية موضوعية تعيق البحث في أي علم من العلوم ، وتؤدي إلى اللبس والغموض خاصة في الثقافة العربية المثقلة بالمصطلحات الغربية .

١١/ أولاً : علوم الأدب

مصطلح عرف عند ابن الأنباري من علماء العربية ، وكان يقصد به مجموعة العلوم اللغوية والأدبية معاً ، أي أنه يشتمل في رأيه على : اللغة والنحو والتصريف وعلم أصول النحو، وعلم الجدل في النحو ، وعلم العروض والقافية ، وعلم صناعة الشعر ، وأخبار العرب .^(١) وهكذا أدخل ابن الأنباري العلوم اللغوية تحت مسمى (مصطلح) لا يتضمن معناها، وجعل العلوم اللغوية فرعاً من العلوم الأدبية .

رأي وتعليق :

نستخلص مما سبق عرضه أن مصطلحات علم اللغة ومفاهيمه قد مرت بتغيرات عديدة منذ نشأة علومها حتى الآن، وما زالت هذه المصطلحات والمفاهيم - رغم استقرارها النسبي - عرضة للتطور وفق آليات العصر المتلاحقة . ويمكننا رصد التغيرات السابقة في عدد من النماذج التالية :

- ١- مصطلحات فلسفية ونحوية تناولت موضوعات علم اللغة في الدراسات القديمة في الغرب والشرق مثل ، Grammatika philosophia ، النحو، علم أصول النحو ، معاني النحو .
- ٢- مصطلحات أدبية ذات مفهوم واسع يضم موضوعات علم اللغة مثل :

(١) د/ محمود فهمي حجازي ، علم اللغة العربية ، ٧٠ ، البحث اللغوي ١٥

Philologie ثم comparative philology بمعنى: علم النصوص ، مقارنة النصوص في اللغات الأوربية ، كما استخدمت مصطلحات : علوم الأدب ، وفقه اللغة أحيانا .

٣- مصطلحات لغوية بمفاهيم ضيقة لمعالجة المفردات ومعانيها ، ثم توسع المفهوم مع ثبات المصطلحات كما في: Linguistics علم اللغة. علم اللسان.

٤- مصطلحات لغوية مرادفة لمصطلح علم اللغة كنتيجة مباشرة لترجمة المصطلح الأوربي في الشام والمغرب العربي مثل : الألسنية ، اللسانيات. ومع ذلك لم يتغير المفهوم بين هذه المصطلحات المترادفة .

بما أن البحوث المرجعية تعنى بالاتجاهات المعاصرة لموضوع البحث بصفة خاصة ، فإننى سأتناول في عجالة الدراسات اللغوية المبكرة باعتبارها نقطة البداية، ثم نعرّج على عصر النهضة كمرحلة انتقالية من المبادئ الأولية إلى القرن العشرين لرصد اتجاهات التطور، فعلم اللغة المعاصر ليس اختراعاً معزولاً عن الماضي ، وإنما هو امتداد ونتيجة لجهود الأجيال السابقة .

الفصل الثاني

الدراسات اللغوية القديمة

غالباً ما تكون بدايات أي علم من العلوم مجرد إرهابات وأفكار بدائية ، ثم تعقبها مراحل التطور ، ونادراً ما تكون بواكير الأعمال ناضجة نسبياً إذا صح التعبير .

فأيهما يصدق على علم اللغة ؟

١ - الدراسات اللغوية السومرية^(١)

يبدو أن الدراسات اللغوية نشأت لأول مرة في منطقة ما بين النهرين ، وتشير الحفائر إلى وجود مجموعة من قوائم مفردات سومرية ومقابلها في اللغة الأكادية ، يرجع تاريخها إلى ٣٠٠٠ عام قبل الميلاد^(٢) وهذا العمل يشير إلى البدايات الأولى لفكرة المعاجم التي ظهرت للوجود بعد ذلك بفترات متفاوتة.

٢ - الدراسات اللغوية الهندية

يبدو أنه ليس من قبيل الصدفة المحضة أن يكون الشعور الديني هو القاسم المشترك عند الشعوب للحفاظ على لغاتها وصيانتها من سئة الكون في التغيير والتبديل والتطور ، لقد كانت دراسة الهندية الكلاسيكية (السنسكريتية) والعناية بها لوناً من ألوان العبادة للحفاظ على لغة الكتاب المقدس عند الهنود ريج -فيداً من تأثيرات الزمن^(٣).

(١) في منطقة تسمى الوركاء أرك. وهو اللقى تسبب لشعب غير سامي ولد آري سكن الجزء الجنوبي من العراق ، وكانت له حضارة زاهرة ولغة رفيعة ، وشتهر الخط الذي كتبت به هذه اللغة بالخط المسماري لأن مفرداته تشبه الأوتاد والمسامير . خلفهم بعد ذلك الأكاديون وهم شعب سامي سكن المنطقة الشمالية أولاً ، ثم أغار على الجزء الجنوبي ، وكانت تسمى آنذاك بلاد ((أكلا)) لمزيد من التفصيل انظر : د . علي عبد الواحد ولي ، فقه اللغة ص ٢٥ : ٢٢ .

(٢) جورج سارتون تاريخ العلم ١٦١/١ . T. Jacobson, V.ery ancient Linguistics P.41

(٣) جورج مونين ، تاريخ علم اللغة ٦٤

ومع أن الدراسات اللغوية السنسكريتية لم تكتشف إلا في أواخر القرن الثامن عشر^(١)، بعد أن قطعت الدراسات اللغوية الأوروبية شوطا كبيرا في هذا المجال، فإن أعمال اللغويين الهنود - وحسب تعبير أحد اللغويين الأوربيين^(٢) - دراسات منهجية واعية ودقيقة، وتفوق أي إنجاز تحقق في أوربا سواء في مجال الصوتيات أو القواعد النظرية والتطبيقية أحيانا.

لقد شملت الدراسات الهندية فروع علم اللغة المختلفة من أصوات وصرف ونحو ومعجم، بالإضافة للدراسات أخرى في فقه اللغة، قبل أن تعالج الدراسات اللغوية الأوروبية هذه القضايا بألفي عام تقريبا. وتركت أكثر من اثني عشرة مدرسة نحوية تراثا نحويا يربو على ألف مؤلف، يمثل ذروة هذه الأعمال وأعظمها كتاب بانيني^(٣) Panini في النحو السنسكريتي. ويعد هذا الكتاب في رأي بلومفيلد:^(٤) أعظم شاهد على رقى العقل البشري في عصره، فهو يصف كل ما يتصل بالسنسكريتية وقواعدها بالتفصيل فيما بين عامي ٣٥٠ و ٢٥٠ قبل الميلاد، كما يعالج مسائل الاشتقاق والتصريف والمعجم والتركيب والخصائص النحوية للسنسكريتية بدقة لا تتوفر في دراسات أي لغة أخرى.

- (١) أول إشارة عن السنسكريتية جاءت عن طريق البعثات التبشيرية الكاثوليكية في نهاية القرن السادس عشر، أما بداية اكتشافها كلفة ذات علاقة باللغات الأوربية فكانت على يد السير / وليم جونز ١٧٨٦ انظر: ر. ه. روبنز، موجز تاريخ علم اللغة ٢٢٤، ٢٢٥.
- (٢) المصدر السابق ٢٢٧
- (٣) يسمى هذا الكتاب بـ "Ashtadhyayi" أي: الكتب الثمانية، وهناك خلاف حول تاريخ تأليفه بين ٦٠٠، ٣٠٠ ق. م. يتكون الكتاب من ثمانية أقسام يحتوي كل قسم على أربعة فصول.. ولزيد من التفصيل انظر: د/ أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب ٥٧ (ج) ر. ه. روبنز، موجز تاريخ علم اللغة مترجم ٢٢٨
- (٤) L. Bloomfield, language P. 11

المبادئ والأفكار

تناولت كتب النحو السنسكريتي عدداً من القضايا مثل الأصوات والتصريف والإبدال والعدد والجنس، فضلاً عن دراسة اللواحق الأساسية والإضافية^(١).

فالأصوات قسمت إلى دراسة الصوت المفرد من ناحية، ودراسة المقطع والنبر بصورة مفصلة من ناحية أخرى. كما قسمت الأصوات المفردة إلى: صوائت وأنصاف صوائت وصوائت، كما صنفت الصوائت إلى طويلة وقصيرة كما، وقسمت إلى بسيطة مركبة كيفاً^(٢).

إن المدرسة البانيشية تعد - في الواقع - ممثلاً شرعياً للمدارس الهندية الأخرى، وجامعة لمناهجها في اتجاه واحد، وقد عرضت في هذه الدراسة أهم المبادئ والأفكار التي نوجزها في:-

أ - فكرة الصفر اللغوي:

تعد صيغة الفعل الأصلية المجردة علامة للمذكر، وهي حالة الصفر اللغوي، وتكتسب صيغة الفعل التأنيث وتدل عليه بإضافة موروفيم مميز للجنس^(٣).

ب - فكرة الجنر

يقصد بها أن إلحاق الحركات أو حروف الزيادة بالجنر الأصلي مما يؤدي إلى تنوع الصيغ واختلاف المعاني^(٤) وكان لهذه الفكرة أثر كبير في تطور الدراسات الاشتقاقية في اللغات الأوربية، والاعتماد على الملاحظة الدقيقة بدلاً من النظريات الفلسفية.

(١) د / أحمد مختار عمر ، البحث اللغوي عند العرب ٥٦

(٢) انظر : المصدر السابق .

(٣) ويقابل هذه الفكرة في العربية المعادلة التالية: الفعل الماضي + Ø = مذكر "كتب" الفعل

الماضي + تاء = مؤنث "كتبت" ، جورج مونين تاريخ علم اللغة ٦٩

(٤) جورج مونين تاريخ علم اللغة ٦٨

يتبين لنا مما سبق أن علم اللغة في التراث الهندي قد عالج جميع جوانب اللغويات التزامنية Synchronic Linguistics الوصفية في الأصوات والفونولوجيا والقواعد والدلالة ، رغم أنه يعود في الأصل إلى التغيرات التي لحقت اللغات بمرور الزمن^(١) .

أما نتائج هذه الدراسات اللغوية الهندية فتتلخص في:-

أ - كانت جهودهم الصوتية هي الأساس الذي بنى عليه علماء اللغة المحدثون دراساتهم المعاصرة في اللغات الأوربية.

ب - ظهور ملامح المنهج الوصفي^(٢) في دراسة اللغة لأول مرة قبل أن يؤسس له ' ف . دي سوسير'.

ج - الاعتماد على اللغة في وصف اللغة وتعييدها ، كمقدمة لإلغاء القواعد الفلسفية والمنطقية من اللغة.

د - ظهور ملامح المنهج الرياضي في معالجة المسائل اللغوية في إطار دراسة عناصر الجملة، وترتيبها أو العلاقة بينها.

أعلام اللغويين والنحاة الهنود^(٣)

مع أن بانيي^١ يعد أعظم النحاة الهنود على الإطلاق إلا أن هناك علماء آخرون كانت لهم إسهامات كبيرة في علوم اللغة ومنهم:- Bhartihari . بهارتري

(١) ر . هـ . روبنز . موجز تاريخ علم اللغة ٢٢٧ ، وانظر رأي مارريويباي . أسس علم اللغة

٢٦٦ في وصف النحو السنسكريتي فيقول "ولكننا لا ندرى ما إذا كان هذا العمل في

مجموعه يعد وصفياً Descriptive او معيارياً Prescriptive .

(٢) ر . هـ . روبنز . موجز تاريخ علم اللغة ٢٢٩

(٣) د / أحمد مختار عمر . البحث اللغوي عند العرب ٥٨ . ٢٤٥ .

هارى" الذي رأى أن الجملة تعتبر قولاً واحداً غير منقسم، وينتقل معناها في ومضة. كما يعد باتنجالي مع بهارت هارى من أعظم نحاة الهندية. كما يعد Amara Sinha^(١) أماراسنها صاحب معجم Amora Kosa أول من ألف في المعجمات.

٣ - الدراسات اللغوية اليونانية واللاتينية.

٣ / أ - في اليونانية

ارتبط النحو اليوناني منذ نشأته بالفلاسفة والمبادئ الفلسفية والمنطقية، واقتصرت دراسة اللغة لديهم على النحو في بادئ الأمر.

ويؤرخ لأقدم الدراسات والبحوث النحوية بالقرنين السادس والخامس قبل الميلاد، وكانت البداية على يد السفسطائيين Sophists ومذهبهم في إخضاع اللغة للقياس، ثم تناول سقراط بعض قضايا اللغة، ثم قام أفلاطون وكرايتيلوس بمحاورات لغوية أعقبتها محاورات أفلاطون المتفرقة في المسائل اللغوية، وهو يعد أول من فرق بين الاسم والفعل باعتبارهما العنصران الأساسيان في الجملة Logos، وقسمت الأصوات عنده إلى ثلاثة أقسام: (٢).

أولاً - أصوات العلة.

ثانياً - أصوات مجهورة.

ثالثاً - أصوات مهموسة.

وأقر أرسطو (٣٨٤ : ٣٢٢ ق.م) بعد ذلك تقسيم الكلمة عند أفلاطون وأضاف إليه قسماً ثالثاً هو: الروابط، التي تؤدي وظيفة نحوية فقط، بخلاف الاسم الذي يدل على معنى اصطلاحي لا يفيد جزء من أجزائه، والفعل الذي يدل

(١) يتناول هذا المعجم مترادفات وبعض كلمات المشترك اللفظي والمذكر والمؤنث والمحايد

(٢) د/ أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب ٦٠

على حدث وزمن، وينسب إليه نظرية بنية العبارة التي تتكون من مسند ومسند إليه^(١)، وهو بذلك يعد أول من وضع أسس التحليل النحوي.

لقد كان لأرسطو ونظريته تأثيراً غير مسبوق في دراسة اللغة، فاللغة عنده انعكاس مباشر للفكر، فهي رمز لما في العقل، ويتميز الفكر بأسبقيته على اللغة، وتعد الكتابة رمزاً للكلام، كما أن الكتابة والألفاظ تختلف بين الجماعات اللغوية، أما الأشياء القائمة في العالم الخارجي والمعقولات فإنها تكون واحدة عند سائر البشر (تقريباً). وبالتالي فإن دور اللغة وفق نظرية أرسطو ينحصر في كونها ناقلة للمحتوى الذهني المتشابه لدى سائر الناس.

هذه الرؤية الأرسطية لم تواجه تحدياً حقيقياً إلا بعد ظهور فرضية النسبية اللغوية Linguistic relativity التي طرحها سابير وورف فيما بعد^(٢).

لقد كان للفتوحات المقدونية دوراً غير منكور في انتشار تعليم اليونانية لغير اليونانيين (كلغة أجنبية في الإسكندرية بمصر، وبرجاموم بآسيا الصغرى) حيث أنشئت الجامعات اليونانية، وظهرت مدارس فلسفية أكثرها أهمية مدرسة الرواقين^(٣) التي خصت علم اللغة وقضاياها بدراسات مستقلة داخل الإطار العام للفلسفة، ولأول مرة يحظى علم اللغة بمعالجة مستقلة، للأصوات والقواعد والاشتقاق.

وبالنسبة لأقسام الكلمة أضاف الرواقيون القسم الرابع والخامس (أي: الأدوات والقرائن) ووضعوا نظرية تركيب الجملة التي تعتمد على تحليل أنواع

(١) جورج مونين، تاريخ علم اللغة ٩٠، وانظر: ماجد فخري، أرسطو ١٤٤، يقابل المسند والمسند إليه "الموضوع والمحمول"

(٢) د/ محي الدين محسوب، اللغة والفكر والعالم ٢

(٣) Stoics وهي المدرسة التي أسسها زينون ٣٠٠ ق.م.

الإسناد في الجملة الفعلية والتميز بين اللازم والمتعدي من الأفعال ، والمبنى للمعلوم والمبنى للمجهول ^(١) .

وفي القرن الأول قبل الميلاد تحول مركز الدراسات النحوية إلى الإسكندرية التي ينسب إليها مونيون ^(٢) إرساء قواعد فقه اللغة كمحصلة للاتصال الوثيق بين متحدثي اليونانية وغيرهم من متحدثي اللغات الأخرى من جهة ، ولدراسة الأسلوب الأدبي من ناحية أخرى ، بشرح النصوص القديمة والتعليق عليها ، ومن هنا يتضح أثر أبحاث المدرسة الإسكندرية في لفت الأنظار إلى الفروق بين اللغة المكتوبة واللغة المنطوقة بتأثير التغيرات المختلفة لمرور الزمن ^(٣) ، ومن ثم فقد فصلت مدرسة الإسكندرية بين النحو وعلمي الفلسفة والمنطق وجعلته علما قائما بذاته ، وخصصت الدراسة اللغوية بأفرع منفصلة عن الفلسفة ، وينسب إلى مدرسة الإسكندرية زيادة أقسام الكلام إلى ثمانية ، وقد ربط ديونسيوس تراكس بين الأدب والنحو، ويرجع فضل تأليف أول معجم يوناني إلي أبولونيوس Appollonius السكندري ، والذي تناول فيه مفردات هوميروس - في مسرحيته الإلياذة والأوديسا - في عهد أغسطس (ق . ب .) .

٢ / ب - في اللاتينية

فيما يتعلق بجهود العلماء اللاتين، فإن فارو ^(٤) (١١٦-٢٧ ق.م) يعد أول كاتب لاتيني موسوعي يتناول القضايا اللغوية ، وقد غطى في مؤلف مكون من خمسة وعشرين مجلداً المسائل اللغوية ، ومن أهمها : مسائل القياس ، والشذوذ .

(١) ر . هـ . روبنز ، موجز تاريخ علم اللغة ٤٢ ، ٤٣ ، د / أحمد مختار عمر ، البحث اللغوي عند العرب ٦٠ ، ٦٣

(٢) جورج مونيون ، تاريخ علم اللغة ٩١

(٣) Lyons , Introduction to theoretical ling . P . 8 .

(٤) ر . هـ . روبنز ، موجز تاريخ علم اللغة ٩٤ : ٩٦

ويظهر في كتابه أثر الأسلوب الرواقي ، مع اطلاق واسع على مذهب مدرسة الإسكندرية، ويتميز مؤلفه بتقسيم ثلاثي للدراسات اللغوية، وهو :

(١) الأوتومولوجيا

(٢) الصرف

(٣) النحو

وأهم الأفكار التي طرحها : إن اللغة نشأت عن قائمة أصلية محدودة من الكلمات الأولية التي فرضت على الأشياء (كرموز لها)، وكانت هذه الكلمات مصدرا لكلمات أخرى .

فالكلمة duellum أصل للكلمة الكلاسيكية bellum بمعنى 'حرب' .
والكلمة hostis كانت بمعنى 'غريب' فيما مضى، تحول معناها في عصر فارو ، وفي اللاتينية الكلاسيكية والمتأخرة إلى معني 'عدو' .

المبادئ والأفكار الرئيسية .

تركزت الدراسات اللغوية اليونانية منذ نشأتها حول المبادئ والأفكار التالية :^(١)

١- أصل اللغة :

كانت الدراسة الفلسفية آن ذاك يتقاسمها اتجاهان هما :

أ- **الطبيعيون** : يرون أن اللغة وليدة الطبيعة ، وهي غير مطردة تخضع للسمع، ولا يقاس عليها ، ويشكل الاطراد نسبة ضئيلة بالنسبة للشذوذ، ولذلك سمي أصحاب هذا الاتجاه بالشذوذيين 'Anomalists'.

(١) ماريوباي ، أسس علم اللغة 'مترجم' ٢٢٦

ب- **الاتفاقيون**: يرون أن اللغة وليدة الاتفاق بين أعضاء المجتمع، فهي مطردة منتظمة وتخضع للقياس على المطرد^(١) وسمى أصحاب هذا الاتجاه بالقياسيين Analogists .

٢- علاقة اللفظ بالمعنى:^(٢)

ذهب كل فريق إلى رأي مناقض للآخر فيما يتعلق بهذه العلاقة .

أ- **الطبيعيون**: يرون أن هناك علاقة طبيعية بين اللفظ ومدلوله ، أي أنهم يعتقدون في المحاكاة الصوتية Onomatopoeia لمعاني المفردات ، ومن هذا المدخل نشأ البحث في الاشتقاق .

ب- **الاتفاقيون** : ذهبوا إلى أن العلاقة بين اللفظ ومعناه علاقة عرفية رمزية يحددها المجتمع .

٣- فكرة النموذج :

هي فكرة فلسفية تعتمد على القياس لإنشاء النموذج ، الذي يقصد به وضع هيكل معياري لشيء مجرد هو الأصل الذي يقاس عليه الشيء المستخدم : وهو الذي يسمى بالفرع ، فالأصل المجرد هو الجذر الثلاثي للكلمة ووزنه الذي يعدل عنهما إلى الفرع بصور مختلفة .

(١) محمد الحناش ، البنيوية في اللسانيات ٩ ، ٥٤ ، د / أحمد مختار عمر ، البحث اللغوي عند العرب ٥٩

(٢) انظر بالتفصيل : ستيفن أولمان ، دور الكلمة في اللغة ٦٩ : ٨٢ ، ر . هـ . روبنز ، موجز تاريخ علم اللغة ٤٦ ، أحمد عبد العزيز دراج ، توليد الكلمات من الأصوات المحاكية ٥ .

وقد صاحبت هذه المبادئ والأفكار قضية معرفة أقدم لغة إنسانية شغلت الفلاسفة والنحاة ردحاً من الزمن ، وهي في الواقع قضية تخرج عن الطبيعة العلمية لعلم اللغة حسب مفهومه المعاصر .

٤ - الدراسات اللغوية العربية

إذا كانت البحوث اللغوية الهندية قد قامت بغرض الحفاظ على ألفيداً كنص مقدس لدى الهنود ، وللغرض نفسه عند غيرهم من الشعوب ، فإن البحث اللغوي العربي قد نشأ لبواعث متشابهة أهمها الحفاظ على لغة القرآن، وفهم معانيه، والتعرف على أسرارهِ فضلاً عن بواعث قومية واجتماعية منها: نضج العقلية العربية، وتفاعلها مع الحضارات الأخرى^(١).

ومن الجدير بالذكر أن البحوث النحوية بدأت متأخرة عن جمع المادة اللغوية عند العرب ، على أساس أن النظريات لا توضع إلا بعد فحص المادة اللغوية ، كما نص عليها السيوطي بقوله أعلم أن اللغوي شأنه أن ينقل ما نطقت به العرب ولا يتعداه . أما النحوي فشأنه أن يتصرف فيما ينقله النحوي ويقيس عليه ...^(٢) - ويؤرخ لبداية البحث النحوي بالقرن الأول الهجري على يد أبي الأسود الدؤلي الذي أثر عنه أنه أخذ النحو عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب^(٣).

صفة القول :

إن البحث اللغوي بدأ متأخراً عند العرب (القرن الثاني الهجري / التاسع الميلادي) إذا ما قورن بالأمم الأخرى وفقاً للمصادر المتوفرة لدى الباحثين ؛ وقد

(١) د / شوقي ضيف ، المدارس النحوية ١٢

(٢) السيوطي ، المزهري في علوم اللغة ٥٩/١

(٣) ونسب آخرون وضعه إلى نصر بن عاصم الدؤلي ، وعند غيرهم إلى : عبد الرحمن بن هرمز . ولتزيد من التفصيل انظر : د / شوقي ضيف ، المدارس اللغوية ١٢

اعتمد النحاة في وضع قواعد اللغة على القرآن الكريم والشعر العربي في عصور الاحتجاج ، وكلام من يوثق بعربيتهم ، واستخدم اللغويون هذه المواد ومفرداتها في تأليف المعاجم .

لقد نشأ النحو العربي وترعرع في كنف المدرسة البصرية التي ساعد موقعها القريب من مدرسة جنديسابور بإيران على سهولة الاتصال بالثقافات اليونانية والفارسية والهندية، وكان من الطبيعي أن تعنى مدرسة البصرة بما توفر لها من أسباب بالترجمة وعلم الكلام ، الذي يتضح أثره في الأخذ بمبداي القياس والتعليل .^(١)

ورغم أن كتاب سيويه يعد أقدم كتب علم النحو ، إلا أنه تناول آراء أعلام النحو الأول في المدرسة البصرية مثل: ابن أبي اسحق الحضرمي (ت ١١٧ هـ) وتلاميذه : عيسى بن عمر الثقفي (ت ١٤٩ هـ) وأبو عمرو بن العلاء (١٥٤ هـ) ويونس بن حبيب (ت ١٨٢ هـ) أما الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ) فقد تتلمذ على كل من عيسى بن عمر وأبي عمرو بن العلاء.^(٢) ثم تتلمذ سيويه على يد الخليل ، ونقل عنه في مواضع كثيرة من الكتاب الذي افتتن به الخلف من علماء العربية فاكثري معظمهم بالنقل عنه أو شرحه والتعليق عليه.

واشتهر من المدارس النحوية العربية مدرسة الكوفة التي نشأت متأخرة نسبياً عن مدرسة البصرة، ويعد الكسائي (ت ١٩٧ هـ) والفراء (ت ٢٠٧ هـ) وثلعب (ت ٢٩١) أكثر أسماء الكوفيين شيوعاً في النحو العربي، و مع ذلك لم يصل إلينا كتاب كامل يوضح منهج الكوفيين في التحليل النحوي^(٣) .

(١) المصدر السابق . ٢١

(٢) انظر : ابن النديم ، الفهرست ، ٦٠ : ٦٤ د / تمام حسان ، اللغة بين المعيارية والوصفية ١٧٣ ، ١٧٤ .

(٣) د / محمود فهمي حجازي ، علم اللغة العربية ٨٧

وهناك مدارس نحوية أقل شهرة منها المدرسة البغدادية وأعلامها ابن كيسان والزجاجي والفارسي وابن جنى ، والمدرسة الأندلسية والمصرية^(١) .

ورغم الخلاف الواضح والعميق بين المدارس النحوية في بعض القضايا ، إلا أنه يمكن ردها في النهاية إلى اعتماد البصريين على الظواهر المطردة للقياس والتعليل ، واعتماد الكوفيين على السماع والندرة في الشواهد للقياس عليهما .

ومنه مذهب الكوفيين في جواز ترخيم المضاف ، ووقوعه أيضا على آخر المضاف إليه نحو قولهم : يا آل عام (في) آل عامر ، أما البصريون فقد رفضوا إجازته .

وحجة الكوفيين قول زهير ابن أبي سلمى :^(٢)

خذوا حظكم يا آل عكرم واحفظوا
أواصرنا والرحم بالغيب تذكر

المقصود : يا آل عكرمة ، فحذف التاء للترخيم .

وقد واكب جهود النحاة في التععيد مثابة اللغويين العرب في جمع المقدرات ومعانيها من البادية، وتصنيفها في رسائل لغوية، أو في معاجم متنوعة ، واتسمت حركة جمع اللغة بالاختيار والانتقاء .

ومن أعلام اللغويين الأوائل الأصمعي، وأبو زيد، والخليل بن أحمد، وأبو عمر الشيباني، وأبي عبيد القاسم بن سلام ، وابن السكيت ، وغيرهم كثير^(٣) .

ولم تقتصر جهود علماء العربية على النحو وتأليف المعاجم والرسائل فحسب، وإنما ضمت إلى جانبها دراسة الأصوات العربية التي يرجع بدايتها إلى

(١) لمزيد من التفصيل - د/ شوقي ضيف ، المدارس النحوية ٢٤٢ : ٣٦٥

(٢) خزائن الأدب ٣٧٢/١ ، سيبويه ، الكتاب ١/٣٤٣ .

(٣) د/ محمود فهمي حجازي ، علم اللغة العربية ٨٨ د/ حلمي خليل ، العربية وعلم اللغة البنيوي ٢١

نصر بن عاصم الليثي (ت ٨٩ هـ) الذي ميز بين الأصوات المتشابهة في القرآن الكريم^(١). ثم تطورت هذه الدراسات على يد الخليل ، الذي تناول تذوق الأصوات ووصفها ، وأثرها في بنية الكلمة من قلب وإبدال ، واشتملت الدراسات النحوية على وصف الأصوات ومخارجها وأثرها، كما نجد عند سيوبه وغيره. وساهم علماء التجويد من جهة أخرى بجهود وافرة في دراسة الأصوات كما نجد عند ابن الجذري^(٢) في كتابه 'النشر في القراءات العشر'. أما دراسة الأصوات بصورة منفصلة ومفصلة فتوجد في متن 'سر صناعة الإعراب' لابن جنى ، وفي أسباب حدوث الحروف لابن سينا .

المبادئ والأفكار الرئيسية :-

قامت الدراسات النحوية واللغوية عند العرب على عدد من المبادئ الرئيسية التالية :

١- نظرية العامل^(٣).

نظرية محورية في النحو العربي، تقوم على أساس أن الحركات الإعرابية في أواخر الكلمات التي في الجملة لا بد لها من علة أو سبب يحدثها، هذا المؤثر الذي تنشأ عنه الحركة يسمى العامل، وكما هو واضح من كتاب سيوبه أن واضع أصول نظرية العامل هو الخليل بن أحمد؛ فما من فصل أو باب في الكتاب إلا وفيه مجموعة أحكام من أحكامها. وما لبثت النظرية أن سيطرت على مباحث النحو التالية ، وصارت جزءاً من هيكل النحو .

(١) محمد حسين آل ياسين ، الدراسات اللغوية عند العرب ٥٥

(٢) انظر: سيوبه ، الكتاب ١/ ١٣ ، ٤٨ ، ٢٨٠ د / شوقي ضيف ، المدارس النحوية ٢٨ :

٤٦ . د / خليل عمايره ، في التحليل النحوي ٥١ : ٦٦

وتنقسم العوامل إلى :

عوامل لفظية، وهي معظم العوامل ، مثل : المبتدأ الذي يعمل الرفع في الخبر .. وهكذا .

وعوامل معنوية، كالابتداء الذي يعمل الرفع في المبتدأ .

وتشكل العوامل المعنوية وبعض العوامل اللفظية مسألة خلاف بين أنصار المدرسة البصرية والمدرسة الكوفية .

٢. القياس :

يعرف القياس بأنه استنباط مجهول من معلوم ، وهو في اللغة معيار الاشتقاق لوضع صيغة كلمة على نسق صيغة أخرى مألوفة في التراث بهدف التوسع اللغوي وزيادة الثروة اللفظية ؛ وينسب إلي ابن سلام الجمحي (ت ٢٣٢ هـ) بداية التأليف فيه ؛ وكان منهج البصريين جواز القياس على المطرد الشائع فقط ، أما الكوفيون فأجازوا القياس على النادر وأحيانا على الشاهد الواحد ؛ ومن أطرف ما قيل في القياس : إن المضارع أعرب قياسا على الاسم لشبهه به في الحركات والسكنات ... الخ ؛ ويعرف هذا بالتعسف في القياس.

وقد ساعد القياس على تطور اللغة واستحداث كلمات وصيغ جديدة ومعان جديدة أيضا. والقياس له مفاهيم مختلفة عن مفهومه التقليدي^(١).

مثال :

يرى الكوفيون أن القياس يدل على أن ما لا تعمل في الخبر مطلقا؛ لأن الحروف لا تعمل إلا إذا كانت مختصة ، كحروف الجر التي تعمل في الأسماء

(١) انظر اختلاف الآراء عند : د/ إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة ٨ ، ٩ د/ شوقي ضيف ، المدارس النحوية ٥٢ د/ رمضان عبد التواب التطور اللغوي ٦٩ : ٧٨

لاختصاصها بها ؛ وحروف الجزم تعمل في الأفعال لاختصاصها بها ، ومن ثم امتنع عمل ما ، لأنها تدخل على الأسماء والأفعال والحروف ، وقد أعملها أهل الحجاز لشبهها بـ ليس من ناحية المعنى .

هذا بينما يرى البصريون أنها تعمل النصب في الخبر ، لكونها تشبه ليس في دخولها على الجملة الاسمية ، ولأنها تنفي ما في الحال .

٤- العلل :

مبدأ من مبادئ المدارس النحوية ، ويقصد به أن كل ظاهرة نحوية أو حكم لا بد له من علة عقلية ، وينسب ظهور هذا المبدأ إلى الخليل ، فهو أول من بسط القول في علل النحو ، أما أقسام العلل فتلاث : تعليمية تفيد أحكام الإعراب ، وقيامية وجدلية تتعلق بالفروض والظنون .

ووفقا لما سبق قسمت العلل درجات : علل أول ، وعلل ثوان ، وعلل ثوالث .^(١) وكانت العلل الثواني والثوالث سببا في حمل ابن مضاء على النحو العربي على حد تعبير د/ شوقي ضيف .^(٢) وترسيخا لمبدأ العلل في النحو خصصت كتب لمعالجتها ، ومن أهم هذه الكتب 'الإيضاح في علل النحو' للزجاجي ، و'الخصائص لابن جني' .

٤- السماع^(٣)

يقصد بالسماع في مفهوم علماء العربية نقل المادة اللغوية المسموعة عن

(١) الزجاجي ، الإيضاح في علل النحو ٦٤ ، ٦٥ ابن جني ، الخصائص ١ / ٤٩ : ٩٦ ، ١٤٥ .
د/ شوقي ضيف ، المدارس النحوية ٤٨ ، ٤٩ ، ٨٢ : ٨٥ د/ محمد إبراهيم البنا ، أبو القاسم السهيلي ومذهبه النحوي ٢٨١ : ٢٨٨
(٢) ابن مضاء القرطبي ، الرد على النحاة ٣٥
(٣) ابن جني ، الخصائص ١ / ١٠١ د/ شوقي ضيف ، المدارس النحوية ٤٦

القراء أو علماء اللغة أو الأخذ ممن يوثق بعربيتهم ، ولذلك كانت البادية ميدانا خصبا لجمع المفردات ومعانيها ، ومن ثم رحل كثير من اللغويين إليها لتيل بغيتهم ، وقد أثر عن الكوفيين التوسع في السماع عن العرب ، بينما اشتهر البصريون بتشدهم في القياس على السماع .

وشغل علماء العربية بعدد من قضايا فلسفة اللغة فضلا عن الأسس والمبادئ السابقة ، وأهم هذه القضايا :

١- أصل اللغة : (١)

تمثل هذه القضية إحدى المسائل التي شغل بها علماء اللغة العرب ، وهي تواضع واصطلاح أم توقيف ووحى؟

ومن الواضح أنها انتقلت إلى العربية من الفلسفة اليونانية ، إلا أنها أخذت بعداً دينياً باختلاف تأويل الآية القرآنية (وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة) البقرة : ٣١ .

٢- العلاقة بين اللفظ والمعنى (٢)

هي المسألة الثانية التي طرحها اللغويون للبحث ، ويقصد بها وجود علاقة بين الأصوات والمعاني أو المدلولات ، وكانت هذه الفكرة من الأفكار التي تناوها فلاسفة اليونان والرومان من قبل .

(١) ابن فارس، الصحاح في فقه اللغة ٨ ، ابن جنى ، الخصائص ٤١/١ ، وبعدها السيوطي ، المزهري في علوم اللغة ٣٤٦/٢
(٢) انظر : الجاحظ ، الحيوان ٤٨ / ١ ، ابن جنى ، الخصائص ٤٧/١ ، ٤٨ ، د/ إبراهيم أنيس، من أسرار اللغة ١٤٥ .

تأسيساً على العرض السابق نتفق مع ما ذهب إليه الدكتور أحمد مختار عمر بوجود تأثير يوناني في الفلسفة والمنطق على النحو العربي، ولكنة تأثير غير مباشر عن طريق ترجمة السريان لعلوم اليونان وخاصة في المنطق والفلسفة^(١).

وفيما يتعلق بالعبرية فإن النحو العبري لم يكن قد وُضع بعد في تلك الآونة، وإنما ظهر بعد ذلك كمحصلة لما قدمه علماء العربية من جهود في النحو واللغة^(٢).

ويتبين لك لأول وهلة عند النظر في كتب النحو والمعاجم العبرية التي ظهرت في العصور الوسطى أثر النحو العربي والثقافة العربية في التكوين العلمي لنحاة العبرية.

فكتاب الإجارون^٣ أي: الجامع لسعديا الفيومي أبو النحو العبري، وكتاب التنقيح الذي يتألف من جزأين هما: الأصول واللمع لمروان بن جتاج وكتاب الموازنة بين اللغة العبرانية والعربية شواهد على اقتباس المصطلحات والمفاهيم العربية في النحو مثل "أقل أصول الأسماء والأفعال والحروف" والأفعال ما تدل على زمان أو مستقبل. و"حروف المعاني" هي ما تدل على معنى في غيرها والأسماء المتصلة التي تأتي على حرف واحد وهي الضمائر، وكذا مصطلحات الإضافة، والإدغام، والمعركة والنكرة والاستفهام والحال والخفض والكناية، وغيرها من المصطلحات.

(١) د/ أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب ٢٤٧، ٢٤٨، د/ زاكية رشدي، ٢٧٢، ٢٧٣.

(٢) د/ محمود فهمي حجازي، علم لغة العربية ١٢٢.

أهم نتائج الدراسات اللغوية (عند العرب)

يحسب لعلماء العربية إنجازهم العظيم في بحوث الأصوات اللغوية التي سبقوا بها الأوربيين حتى في العصر الحديث ، هذا ما شهد به اللغويون المحدثون^(١) ، وأكدته أجهزة تحليل الأصوات وتسجيلها ، ولم يسبقهم إلى إنجاز مواز إلا أسبقية وصف علماء السنسكريتية لأصوات لغتهم . وأهم هذه النتائج هي:^(٢) .

- ١- وضع أبجدية صوتية حسب مخارج العربية من أقصى الخلق إلى الشفتين على يد الخليل ، ثم عدله سيبويه ، ووافق ابن جنى سيبويه في معظم ترتيبه وعدد مخارج الأصوات عنده .
 - ٢- وصف العرب أعضاء الكلام وميكانيكية النطق بشكل نظامي .
 - ٣- استطاعوا وصف الأصوات الجزئية للغة العربية بمصطلحات فنية واضحة مثل مصطلحات مطبق ، مفخم ، إطباق
 - ٤- توصل العرب إلى أهمية التحكم في مجرى الهواء لإنتاج الصوت ، وقسمت الأصوات على هذا الأساس إلى شديدة ورخوة ومتوسطة .
- إن معالجة علماء العربية للغة يشير إلى تمييزهم بين مستويين من مستويات اللغة ، أحدهما: مستوى القواعد التعليمية ، وثانيهما : مستوى العلاقات التركيبية بين الكلمات وبين الجمل . واعتنى العلماء في المستوى الأول بتبع الخطأ في الأداء اللغوي وطرق تصويبه ، بينما تركزت العناية في المستوى الثاني على علاقة المبنى بالمعنى .

(١) برجشتراسر ، التطور النحوي للغة العربية ١١

(٢) الخليل بن أحمد ، معجم العين ٥٢/١ ، سيبويه ، النكتاب ٤٣١/٤ ابن جنى ، سر صناعة الإعراب ٤٥/١ ، ر . هـ روينز ، موجز تاريخ علم اللغة ١٧٢ .

الفصل الثالث



الدراسات اللغوية في عصر النهضة

اقتصرت الاهتمام في العصور الوسطى على اللغة اللاتينية ، ولم تحدث تغيرات تذكر على العلوم السائدة ومن بينها علم النحو ، وفي أواخر العصور الوسطى كانت العربية والعبرية من اللغات المعترف بها رسمياً في جامعة باريس ، فدرّست العربية بوصفها لغة الحضارة الإسلامية الزاهرة آنذاك ، ودرست العبرية لكونها لغة العهد القديم .

في مستهل عصر النهضة ازداد الاهتمام بالكلاسيكيات ، وفي الوقت نفسه لم يعد البحث قاصراً على نحو اللاتينية وحدها ، بل صاحبه عناية بدراسة اللغتين اليونانية والعبرية فضلاً عن لغات أخرى كالفرنسية والأيرلندية ، وصدرت بحوث مختلفة في نحو هذه اللغات .

باختصار لم تتوقف البحوث اللغوية خلال عصر النهضة ، ولكنها كانت في الواقع جهوداً مبعثرة هنا وهناك ، تظهر فيها ملامح المنهج التاريخي والمقارن على استحياء . وتنسب أول محاولة للتعرف على أوجه التشابه بين اللغات إلى دانتي (١٢٦٥ - ١٣٢١ م صاحب الكوميديا الإلهية) الذي قارن عدداً من مفردات الأسبانية والإيطالية والفرنسية والبروفانسية ، واستنتج أنها ترجع إلى أصل واحد ، ويميز بدقة بين ثلاث أسر لغوية هي الجرمانية في الشمال، واللاتينية في الجنوب، واليونانية في قسم من أوروبا يلاصق آسيا ، وبالتالي فإنه كان واعياً بالفروق اللغوية^(١) .

(١) ر. ه. رويتز ، تاريخ علم اللغة ٢٦٨ ، ٢٦٩

وفى فترة لاحقة ظهرت ملاحظات متفرقة حول تكوين الجهاز الصوتي وعملية الكلام على يد الفنان الإيطالي ليوناردو دافنشى (١٤٥٢ - ١٥١٩م) وفى نفس الاتجاه اكتشف طبيب متخصص فى التشريح (فابريكوس H. Fabricius ١٦٠١ م) الوترين الصوتيين ودورهما فى الكلام لأول مرة . بعد ذلك التقت جهود اللغويين مع جهود التجريبيين فى مرحلة لاحقة حول قضايا الأصوات اللغوية^(١) .

ومن الأعمال الجادة البثاء ما طرحه أصحاب الاتجاه العقلاني فى دراسة القواعد (جماعة بورت رويال Port Royal ١٦٠٠م) بنشر كتاب فى النحو العقلاني والقواعد العامة أثبتوا فيه أن بنية اللغة هى نتاج العقل ، وأن اختلاف اللغات يقوم على تباين النظام المنطقي والعقلي لأبناء اللغات المختلفة ، كما أعادوا تقسيم أقسام الكلمة التسعة^(٢) على أساس دلالي .

لقد تضافرت عوامل أخرى مع جهود العلماء إبان عصر النهضة لتكون قوة دفع لسائر العلوم التجريبية والإنسانية ، وأهم هذه العوامل نشاط الاستعمار الأوربي الجديد الذى أقام المحطات التجارية الجديدة فى المستوطنات البعيدة، وانتشار البعثات التبشيرية فى هذه المستعمرات، مما أدى إلى تنبيه العلماء إلى ثروة من التنوع اللغوي فى العالم ، واكتشاف السنسكريتية فى الهند ، ثم الأكادية والسومرية والأوجارتية والآرامية وغيرها من اللغات السامية ، واللغات المصرية القديمة فى بعض مناطق الشرق الأوسط المتاخمة لمصر .

(١) د / محمود فهمي حجازي ، البحث اللغوي ٢٣ ، ٢٤

(٢) الاسم والأداة والضمير (التصريف الثالث) "واليرتسبل" وحرف الجر والظرف والفعل والرابطة والتعجب . انظر : ر . هـ روبنز ، موجز تاريخ علم اللغة ٢٠٨

وإذا كانت فكرة النموذج المشترك Paradigm التي أدخلها توماس كون^(١) مما يصح استخدامه في هذا المقام لوصف تطبيق منجزات علم من العلوم على علم آخر ، فإنه يمكن اختيار نموذجين من العلوم التجريبية كان لهما قدر من الفضل على تقدم الدراسات اللغوية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر وهما :^(٢)

النموذج الأول :

نموذج الفيزياء الميكانيكية التي تربط بين وصف الظواهر اللغوية (صوتية ، صرفية .. الخ) وقوانين القوة والحركة ، حيث اقتبس فقهاء اللغة فكرة وصف تبدل الأصوات في اللغة تاريخياً وطبقوها على سلسلة كاملة من الأمثلة ، وهذا ما يصدق على التغيرات التي طرأت على الصوامت في الهند وأوربيه الأولى^(٣) إلى صوامت أخرى في الألمانية^(٤) ، وإلى أصوات مغايرة في فروع الهند وأوربية الأولى كال يونانية الكلاسيكية ثم اليونانية الحديثة وغيرها ، ويعرف هذا القانون باسم قانون جريم (Grimm's law) .

النموذج الثاني :

نظرية التطور في علم الأحياء ، والتي بنيت على أساس الانتخاب الطبيعي .

- | | | | | | | | | | | |
|----------------------|--|----------------------|-----------|---------------|--------------|-----------|--------------|--------------|-----------------|--------------|
| (١) | أحد أبرز فلاسفة العلوم المحدثين ١٦٢ انظر جفري سامسون ، مدارس اللسانيات التسابق والتطور | | | | | | | | | |
| (٢) | المصدر السابق ٤ : ٥ | | | | | | | | | |
| (٣) | سميت في الإنجليزية بـ Indo - European (١٨١٤م) ، وعند العلماء الألمان بـ Indogermanish "هندو جرمانية" (١٨٢٣م) انظر : ر . هـ . روينز ، تاريخ علم اللغة ٢٧٨ | | | | | | | | | |
| (٤) | مثال للتغير في صوامت فروع اللغة الهندو أوربية هي : | | | | | | | | | |
| | <table border="0"> <tr> <td>اليونانية الكلاسيكية</td> <td>الألمانية</td> <td>الهندو أوربية</td> </tr> <tr> <td>Ph , th , kh</td> <td>b , d , g</td> <td>bh , dh , gh</td> </tr> <tr> <td>نفسية مهموسة</td> <td>انفجارية مجهورة</td> <td>نفسية مجهورة</td> </tr> </table> | اليونانية الكلاسيكية | الألمانية | الهندو أوربية | Ph , th , kh | b , d , g | bh , dh , gh | نفسية مهموسة | انفجارية مجهورة | نفسية مجهورة |
| اليونانية الكلاسيكية | الألمانية | الهندو أوربية | | | | | | | | |
| Ph , th , kh | b , d , g | bh , dh , gh | | | | | | | | |
| نفسية مهموسة | انفجارية مجهورة | نفسية مجهورة | | | | | | | | |

ووصلت إلى ذروة نضجها في كتاب أصل الأنواع The Origin of species لدارون، وحيث ذهب مؤيدوها إلى تصنيف علوم اللغة ضمن العلوم الطبيعية. وتقوم هذه النظرية على فكرة الصراع بين اللغات من أجل البقاء، وتعد اللغات وفق هذه النظرية أصنافاً من الكائنات الطبيعية كالحیوان والنبات.

كانت هذه الدراسات مقدمات فعلية واعدة لتأسيس منهج علم اللغة المقارن كما سنوضح فيما يلي :

١ - علم اللغة المقارن

رغم صعوبة تحديد تاريخ معين للدراسات التاريخية والمقارنة في اللغات الهند أوربية، ومع التقدير لمحاولات دانتي وسكاليجر (١٥٤٠ - ١٦٠٩م) الذي ميز بين إحدى عشرة أسرة لغوية) وليبنز (١٦٤٦ - ١٧١٦م) الذي وضع العبرية بشكل حاسم ضمن أسرة اللغات السامية (١) - مفتداً برأيه هذا ما سبق ادعاؤه بأن العبرية لغة التوراة هي أم لغات العالم، وأنها الأصل الذي تفرعت منه باقي الأسر اللغوية، فإن إعادة اكتشاف اللغة السنسكريتية يمثل منعطفاً خطيراً في التحول إلى الدراسة التاريخية والمقارنة للغات الأوربية على مستوى المنهج والنظرية.

إذا كان تقرير قاضي المحكمة الإنجليزية في الهند (السير ولیم جونز ١٧٨٦م) (٢) يعد نواة علم اللغة التاريخي والمقارن، فإن جهود العلماء الألمان (أو المدرسة الألمانية)

٢٧٢ ، ٢٧١

(١) ر. هـ. روبنز، موجز تاريخ علم اللغة

(٢) جاء في التقرير "اللغة السنسكريتية مهما يكن قدمها، لغة ذات تركيب عجيب، وهي أكثر كمالاً من اليونانية، وأعز إنتاجاً من اللاتينية... وهي فوق ذلك على قرابة بكل منهما في جذور الأفعال وصور القواعد معاً، قرابة أقوى من أن تكون نتاجاً للمصادفة... لمزيد من التفصيل ر. هـ. روبنز، تاريخ علم اللغة، ٢٢٤

في السنسكريتيات تشكل حجر الزاوية في أساس هذا العلم . فالصلات التاريخية التي أشار إليها وليم جونز في تقريره تؤكد تشابه جذور الأفعال وصور التراكيب في هذه الأسرة اللغوية، مما حدا بفريق من الباحثين إلى تتبع أوجه الشبه في البنية الصوتية والصرفية والنحوية .

وأهم رواد علم اللغة التاريخي والمقارن فردريك شليجل (1772 F. Schlegel - 1829) الذي طرح في كتابه^(١) أهمية دراسة البنية الصرفية للغات المفحوصة ، لأنها تحمل في داخلها علاقات وراثية ، وهذا هو الجانب الذي ركزت عليه الدراسات المقارنة المبكرة بين اللاتينية واليونانية بصفة خاصة ، ويرجع من جهة أخرى إلي أن شليجل هو الذي وضع مصطلح *Vergleichende Grammatik* القواعد المقارنة الذي استخدم بعد ذلك كعنوان لمؤلفات علم اللغة التاريخي والمقارن . وكان يعتقد بأنه قد توصل إلى اللغة النقية والأصيلة لبقية اللغات .^(٢)

وعقب ذلك ظهرت أعمال الدنمركي دان راسك (Dan Rask 1787 - 1832) الذي يعد أول من كتب في القواعد النظامية للغتين الاسكندينازية والإنجليزية الكلاسيكيتين، ويمثل بحثه في العلاقات الاشتقاقية اتجاها رائداً في مجاله ، وقد اتبع فيه نظام مقارنة صوت ما في لغة معينة بصوت محدد في عدد من الكلمات في لغة أخرى للكشف عن العلاقة بين اللغتين . ونص راسك على أن اللغة التي تملك أدق أنواع القواعد هي أكثر اللغات صفاء وأكثرها أصالة ، وهي الأقدم والأقرب للأصل، لأن التصريفات والنهايات تتعرض للتآكل أثناء تطور

(١) نشر في عام 1808 م بعنوان "On the language and the learning of indians" اللغة والمعرفة الهندية

(٢) د / محمود فهمي حجازي ، علم اللغة العربية ، ١٢٧

اللغات الجديدة، كما تتطلب زمنا طويلا ، وقدرأ من الاختلاط مع الشعوب الأخرى لكي تتطور، وتعيد تنظيم نفسها من جديد^(١) .

بعيدا عن مناقشة صحة فرضيات راسك فإن أهم ما يميزه أسبقية التوجه نحو طرح أفكار ومناهج قابلة للتجريب ومحاولته بناء علم لغة وصفي. وفي نفس الفترة تقريبا تعد أعمال وللم فون هامبولت Wilhelm von Humbolt (1767 - 1835م) أكثر عمقا وأصالة في المسائل اللغوية العامة، وله نظرية تؤكد على المقدرة اللغوية والإبداعية الكامنة في عقل المتكلم والمستمع، فالمقدرة اللغوية عنده تعبر عن إمكانية جوهرية من إمكانيات العقل البشري أي ملكة فطرية . ومع ذلك فإنه ظل أسير لفكرة " هردير التي تؤكد شخصية كل لغة باعتبارها خاصة قومية^(٢) .

ومن هؤلاء الرواد المعروفين ياكوب جريم J. Grime (1785-1863م) الذي استفاد من أفكار وفرضيات راسك في وضع القواعد المنظمة لحالات التوافق الصوتي بين اليونانية والقوطية والألمانية القديمة ، وسميت هذه القواعد قانون جريم (1822م) فقد وضع هذه التقابلات الصوتية في جداول ، وفسر التغيرات الصوتية في اللغات الثلاث تاريخياً^(٣) .

ويرجع الفضل إلى جريم في وضع المصطلحات الفنية للجرمانية مثل : Stark شديد Schwach رخو ، Ablaut تدرج الصائت ، Umlaut تغير الصائت

(١) نص منقول عند جفري سامسون ، مدارس اللسانيات . ١١

(٢) Robins , A short history of linguistics P. 175 جورج مونين ، تاريخ علم اللغة ١٩٧

ويعرف هامبولت بصورة أكثر وضوحاً في علم اللغة بتقسيمه الأنماط اللغوية إلى أنماط

ثلاثة : ١ - نمط عازل (كالمصينية) ، ٢ - نمط لاصق (جذر + لواحق مثل التركيبية ، ٣

- نمط متصرف (كاللاتينية) انظر: جفري سامسون، مدارس اللسانيات ١١ ، ١٢ .

(٣) Lyons , Introduction to theoretical linguistics P. 27

وفقا لشروط سياقية، وقد بُنى في الوقت نفسه تطبيق أفكار هررد في مسألة العلاقة بين اللغة والقومية .^(١)

ويعد أن تخفف اللغويون الأوربيون من الوله العلمي بالسنسكريتية ، ومن توهم أنها الأصل القديم للغات الأوربية قدم مؤسس علم اللغة المقارن^(٢) فرانز بوب F . Bopp (١٧٩١ - ١٨٦٧ م) دراسات جادة في مقارنة الأنظمة الصرفية لليونانية واللاتينية والجرمانية والفارسية مع اللغة السنسكريتية ، وحاول من خلال تحليله لما يقدمه من دراسات مقارنة التعرف على ملامح اللغة الأوربية الأولى، كما عرض تفسيراً لظاهرة ثناوب الصوائت (العلل) يقوم على أساس تطبيق مكتشفات علم من العلوم على - فرع من - علم اللغة ، وسمى هذا التطبيق بالتفسير الميكانيكي للظاهرة الهندو أوربية .

وعارض "بوب" بشدة الاعتقاد السائد منذ "شليجل" حتى عصره بأن السنسكريتية هي الأصل الأقدم لكل اللغات الأوربية ، ولكنه ذهب إلى أنها أقرب اللغات إلى الهندو أوربية الأولى .

ويعد بوب أول من استخدم مصطلح "Lautgesetz" بمعنى قانون الأصوات^(٣) . وهو في واقع الأمر يتميز بمنهج موضوعي وعلمي بحت .

وظلت الدراسات اللغوية حتى منتصف القرن التاسع عشر تعتمد على النصوص المكتوبة لتحقيق هدفها في ذلك الوقت ، وهو إعادة صياغة البنية النحوية للغة الأصلية .

(١) ر . ه . روينز ، موجز تاريخ علم اللغة ٢٧٩

(٢) سمي آنذاك بالنحو المقارن ١٨٢٧ م

(٣) أنظر : جفرى سامسون ، مدارس اللسانيات ٥

ومع بداية النصف الثاني (للقرون التاسع عشر) تبين الباحثون أهمية بحث اللهجات الحية في إطار الدراسات المقارنة كوسيلة لفهم الماضي بصفة خاصة، وكان هذا الاتجاه مؤشراً لتطور مناهج البحث نحو العلمية والدقة^(١). فقد تأثرت العلوم اللغوية بمبادئ نظرية دارون في أصل الأنواع بعد ظهور كتابه: The origin of species (١٨٥٩م)، وتمثل هذا الأثر في أعمال أوجست شلايشر August Schleicher (١٨٢١ - ١٨٦٨) الذي رأى أن اللغة عبارة عن جهاز عضوي قابل للتطور حتى يصل إلى القمة وهنا تأتي مرحلة الانحدار والموت مثل الكائن الحي تماماً. فاللغة بهذا المفهوم جهاز عضوي طبيعي. وهذا الطرح متأثر بدراسته لعلم الأحياء.

إن نظرية شجرة النسب Stammbaumtheorie التي وضعها شلايشر بنيت على أساس وجود علاقات بين لغات الأسرة اللغوية الواحدة، التي تملك خصائص مشتركة تربطها بأصلها القديم، ويرى شلايشر أن التطور من اللغة الأصلية إلى الفروع الأخرى قد بدأ بمرحلة الانقسام اللهجي، ثم مرحلة النمو، ثم مرحلة التطور حتى تصل اللغة أخيراً بعد النضج والاكتمال إلى مرحلة الانحلال (الموت). ويتوازي مع مراحل النمو من جهة أخرى تغير نظام البنية من مرحلة العزل إلى مرحلة الإلصاق إلى مرحلة الاشتقاق، وهذه المرحلة الأخيرة التي تمثل النضج^(٢).

وتتوقف هنا قليلاً لتوضيح مصطلحات:

مرحلة العزل: يقصد بها المرحلة الأولى التي تكون فيها كلمات اللغة مؤلفة من جذر جامد، كما في حالة اللغتين الصينية والفيتنامية.

(١) د / محمود فهمي حجازي ، علم اللغة العربية ١٢٨

(٢) جفرى سامسون ، مدارس اللسانيات ١٢

مرحلة الإلصاق: يقصد بها المرحلة الوسطى التي تحتوي كلمات اللغة فيها على الجذر واللواحق، كما في حالة اللغة التركية .

مرحلة الاشتقاق: وهي التي تكون كل كلمة واحدة متضمنة عددا من المعاني، ويتعذر فصل الجذر المفرد عن الجمع مثلا ورود، وردة .

وتسمى هذه اللغات باللغات التصريفية، وهي تنقسم إلى نوعين :

أ- تركيبية ب- تحليلية

من هذه اللغات السنسكريتية واليونانية الكلاسيكية واللاتينية، ويمكن انتقال اللغة من تركيبية إلى تحليلية كما في حالة اللاتينية، التي أصبحت لغة تحليلية كما حدث بالنسبة للفرنسية الحديثة .

وبالطبع لم تسلم هذه النظرية من النقد الشديد^(١) وربما اللاذع أحيانا ، لما عليها من مأخذ ، إلا أنها تعد في الوقت نفسه نقطة انطلاق لتحول علم اللغة إلى علم دقيق تحكمه قوانين واضحة.

حد النظرية اللغوية :

إنها عبارة عن بناء عقلي يهدف إلى ربط عدد من الظواهر اللغوية بقوانين متناسقة ويحكمها مبدأ التفسير العام .

هناك اعتراضان رئيسيان وجها إلى نظرية شجرة النسب التي طرحها شلايشر ، وهما :^(٢)

الأول : التمثيل الحرفي لنموذج الشجرة على أنه يمثل الانقسامات

٤٢ ، ٤٢ .

(١) د / عبد الرحمن أيوب ، اللغة والتطور

٢٩٢ ، ٢٩٣

(٢) ر . ه . روينز ، موجز تاريخ علم اللغة

اللهجية، رغم عدم توفر معلومات كافية ودقيقة عن الوضع اللهجي للغات التي ماتت .

الثاني : بطلان الانقسامات الأحادية التي أقرتها النظرية ، وانتقادها ج . شميت J. Schmidt ثم طورها في نظريته المسماة بنظرية الموجة "Wellentheorie" والتي رفض فيها انقسام اللغة إلى لهجتين فحسب ، وذهب إلى أنها تنفرع إلى لهجات متداخلة الحدود ، حيث يبدأ التطور من المركز إلى الحدود الفاصلة بين اللهجات فيما يشبه الموجة .

وباحتدام الجدل بين مؤيد ومعارض لمجموعة من أفكار شلايشر في نظريته ، ظهر اتجاه جديد في الربع الأخير من القرن التاسع عشر أسفر عن قيام مدرسة النحاة الشبان (الجدد) - Junggrammatiker^(١) . وأهم أعلامها أوجست لسكين A. Leskien وهـ. أوستهوف H. Osthoff ، وكارل بروجمان K. Brugmann ودلبروك Delbrück ، وهرمان بول H. Paul وغيرهم ممن عنوا باللغات الهندو أوروبية ، وفريق آخر من العلماء الذين اهتموا باللغات السامية تذكر منهم : تيودور نولدكه Th. Noldeke وكارل بروكلمان K. Brockelmann . وأنوليتمان Litmann ويرجستراسر^(٢) .

تأسست نظرية النحاة الجدد على العلوم الفيزيائية غير الحية مثل الجيولوجيا والطبيعة كنماذج علمية دقيقة بعكس شلايشر الذي اعتمد على البيولوجيا في تأسيس نظريته .

(١) وسموا أيضا بـ Neogrammarians

(٢) انظر : د / محمود فهمي حجازي ، علم اللغة العربية

إن أهم الأفكار التي طرحها النحاة الجدد هي الوجود الحقيقي للغة في الفرد نفسه، ومن ثم تعزى إليه جميع التغيرات الصوتية والدلالية ؛ لأنها لا تنشأ إلا في وجود الفرد/ الجماعة . والتغيرات بأنواعها ما هي إلا تغيرات في عادات الأفراد الكلامية .

وإذا كانت اللهجات الأوربية قد وضعت في بؤرة الاهتمام منذ بداية الحركة الرومانسية في أوربا ، فإن للنحاة الجدد الفضل في جعل تلك اللهجات ميدانا خصبا للبحث العلمي ، وتوسيع دائرته جنبا إلى جنب مع علم الصوتيات التاريخي^(١) .

والخلاصة حسب تعبير الدكتور محمود فهمي حجازي : إن مدرسة النحويين الشبان أفادت من التقدم المنهجي في العلوم الطبيعية، وحاولت استخراج القوانين المفسرة للتغير اللغوي ، وعرفت بالتزامها الصارم بفكرة القوانين الصوتية، وأفادت مدرسة النحويين الشبان في مجال اللغات الشرقية أيضا من الكشوف الأثرية الكثيرة التي تمت في القرن التاسع عشر ، وأماطت اللثام عن لغات قديمة بائدة^(٢) .

ومن ثم تعد اللغات السامية والحامية من حيث درجة الأهمية في الدرجة التي تلي اللغات الهندو أوربية ، التي حظيت بعناية أكبر جعلت النتائج والنظريات التي بنيت عليها أكثر دقة وأغزر مادة نظرا لتوفر النصوص والمواد المسجلة منذ أمد بعيد ، فضلا عن نسبة المتكلمين باللغات الهندو أوربية وأثرهم في الحضارة الإنسانية المعاصرة .

(١) ر . هـ - روبنز ، موجز تاريخ علم اللغة ٢٠١

(٢) د / محمود فهمي حجازي ، علم اللغة العربية ١٢٩

سمات البحث في القرن التاسع عشر :

كشفت البحوث اللغوية في القرن التاسع عشر النقاب عن بعض هامين وجوهريين كما يرى الدكتور محمود فهمي حجازي :^(١)

الأول : الوعي التاريخي .

اهتم اللغويون بالعلاقة التاريخية بين اللغات ، وظواهرها وأنظمتها وأدى هذا إلى توضيح طبيعة اللغة وحياتها .

الثاني : البحث عن قوانين .

حاول الباحثون وضع هذه النتائج في صورة قوانين دقيقة ، وكان من نتائج ذلك ظهور فكرة القوانين الصوتية .

وأدت الدراسة التاريخية المقارنة إلى استبعاد بعض اللغات من أسرار لغوية ووضعها في مجموعتها الأصلية ، كما حدث بالنسبة للغة العبرية ، وأصبح بالتالي هناك تصنيف دقيق للعائلات اللغوية بناء على رصد الظواهر التركيبية والتقابلات الصوتية والمفردات المتشابهة . وساعدت الكشوف الأثرية على تحقيق النصوص القديمة في اللغات السامية - تأسيسا على ما حققه علم اللغة من تقدم أدوات البحث في اللغات الهندو أوروبية على يد جماعة من المستشرقين^(٢) وفريق من الباحثين العرب .

٢- إرغاصات التجديد في العربية

حقيقة - لم يكتب النجاح لدعوات التجديد في النحو العربي بعد ظهور

(١) د/ محمود فهمي حجازي ، البحث اللغوي ٢٦ ، ٢٧

(٢) لمزيد من التفصيل انظر : ماريوباي ، أسس علم اللغة ١٦٨ : ١٧٤

كتاب سيبويه ، و إن لزم التنويه إلى هذه المحاولات التي بدأها ابن جنى بقولته: ^(١) إن العامل هو المتكلم نفسه ، فهو المنفذ لوضع الحركة الإعرابية على أواخر الكلم ، وذهب ابن مضاء القرطبي ^(٢) إلى أبعد من ذلك فرفض نظرية العامل النحوي ، وطالب بإسقاط العلل الثواني والثالث ، وهي في واقع الأمر دعوة إلى المنهج الوصفي في معالجة المسائل النحوية، إلا أنها ووجهت بنقد عنيف أحيانا ولاذع أحيانا أخرى .

(١) انظر : ابن جنى الخصائص ١٠٩/١ ، ١١٠

(٢) انظر : ابن مضاء ، الرد على النحاة ٨٥ ، ٨٦ ، ١٥١

—

—

—

الفصل الرابع

الدراسات اللغوية في القرن العشرين

رغم الإقرار باستحالة تطابق نقطة التحول في علم اللغة مع بداية القرن العشرين ، إلا أنه ينبغي التنويه إلى أن التطورات التي شهدتها لم تكن منقطعة الصلة بأعمال وجهود السابقين خاصة فيلهلم فون هامبولت وجماعة النحاة الجدد ، الذين تركوا بصماتهم على أفكار واتجاهات ج رايت J. Wright (انجلترا) وفرديناندي سوسير F. De Sauser (سويسرا) وأندريه مارتينييه A. Martinet (فرنسا) بالإضافة إلى مؤسسي علم اللغة الأمريكي إدوارد ساير E. Sapir وفرانز بواس F. Boas وليونارد بلومفيلد L. Bloomfield وغيرهم .

وإذا كانت الدراسات اللغوية في القرن التاسع عشر قد ابتعدت عن التأثيرات الفلسفية وسلكت مسلك علوم الأحياء حينئذ ، والعلوم الطبيعية (الجيولوجيا) حينئذ آخر ، فإنها قد اعتمدت في القرن العشرين نزعة استقلالية ترى اللغة فيها من خلال النص أي من داخل نفسها .

وتعد مذكرات "فرديناندي سوسير (١٨٥٧ - ١٩١٣ م) التي لم تنشر إلا بعد وفاته - على يد زملائه^(١) وطلابه - نقطة تحول رئيسية من علم اللغة التاريخي Historical Linguistics^(٢) إلى علم اللغة الوصفي (أو - التزامني) Synchronic Linguistics^(٣) أو مرحلة ما يمكن أن يسمي بالفكر البنيوي .

وقد اعترف دي سوسير^(٤) صراحة بما أسداه علماء اللغة الأول من فوائد جهة للدراسات اللغوية اللاحقة ، ورغم وجود بعض المفاهيم الزائفة التي طرحت على بساط البحث ؛ ولكنها لم تكن عديمة القيمة .

(١) تشارلز بالي (Charles Bally) وألبيرت ميشيهي (Albert Sechehaye)

(٢) أو Diachronic Linguistics

(٣) وسميت أيضا : Static Linguistics

(٤) ف. دي سوسير ، فصول في فقه اللغة العام ٢٢ : ٢٤

وقبل تناول أفكار دي سوسير في كتابه المعروف Course in general linguistics محاضرات في علم اللغة العام - وتأثيره على الدراسات اللغوية في أوروبا وأمريكا فيما بعد ، مما أدى إلى ظهور نظريته ولا أظنني مبالغاً إذا قلت إنها هيأت المناخ لظهور معظم النظريات اللغوية وغير اللغوية - أود أن أتعرض في عجالة لشخصيتين علميتين كان لهما أكبر الأثر في حفزه وتشجيعه على صياغة أسس نظريته في علم اللغة وهما :

١ - وليم دوايت وايتني W : D . whiteny (١٨٢٧ - ١٨٩٤م)

لغوى أمريكي درس في ألمانيا على يد فرانز بوب ، وتخصص في اللغة السنسكريتية ، ويعد من الرواد الأوائل الذين بحثوا في اللغات الأمريكية - الهندية ، وكان دي سوسير من قرائه المميزين .

ويعد وايتني من علماء المستاحاثات اللغوية (علم استخلاص خصائص الوثائق) ، فضلاً عن كونه أحد علماء المقارنات الأوائل ، وله أربعة مؤلفات في علم اللغة العام ، ويظهر في كتابة أثر النظرية التجريبية الإنجلو سكسونية .

أهم مقولاته^(١)

أ- اللغة واقعة اجتماعية ، وليست واقعة طبيعية أو صفة بيولوجية حسب شلايشر ومولر .

ب- إن الرغبة في الاتصال هي الأصل الذي يكمن فيه كل تاريخ اللغة .

ج- إن الكلمات بالنسبة لفكر الإنسان مثل الأدوات بالنسبة ليديه .

د- اللغة رموز لا تتطابق مع الفكر ، كما تتطابق الرموز الرياضية مع المفاهيم والكميات العددية .

هـ - علم اللغة ليس علما طبيعيا ، بل هو علم تاريخي .

و- وايتني مقولات متعددة تحمل آراءه التي تحتاج إلى دراسة وتفسير، من أهمها^(١) .

اللغة ، كالجسم العضوي، فهي ليست تلاصق جزئيات متشابهة ؛ بل هي مجموعة أجزاء يرتبط بعضها ببعض ، ويعاضد بعضها بعضا .

ليست أي أبجدية (يقصد الأصوات البسيطة في لغة ما) سديما ، بل هي نظام منسق الألفاظ تحكمه علاقات في كل الاتجاهات .

اللغة في الحقيقة، نظام كبير من البني المعقدة جداً، والمتوازية^٢ وهي تقبل تماما المقارنة مع جسم منظم .

وتظهر مثالته المنهجية في مقولته لا يزال علم اللغة الحقيقي في مرحلة الطفولة ومن ثم ينبغي أن يتشكل من خلال التمايز بينه وبين فقه اللغة المقارن، وهما في الواقع وجهان لدراسة واحدة .

٢ - إميل دوركايم E . Durkheim (١٨٥٨ - ١٩١٧م)

عالم فرنسي ، و مؤسس علم الاجتماع كعلم تجريبي ، وصاحب فكرة الحقيقة الاجتماعية^٣ أو بمعنى آخر مجموعة الأفكار الموجودة في عقل الجماعة

(١) المصدر السابق ١٩ - ٢٠ .

الاتجاهات المعاصرة في تطور دراسة العلوم اللغوية

الواحدة كقوانين أو أعراف ، وهي تعد في رأيه أشياء حقيقية مثل الظواهر الطبيعية . والشئ في رأيه هو كل ما يصلح كمادة للمعرفة^(١) .

والحقائق الاجتماعية وفق مفهوم دوركايم هي مجموعة من الأفكار (representation) الموجودة في العقل الجمعي لمجتمع ما، وهي تمثل قوة ضاغطة غير مباشرة، وفي كل مجتمع من المجتمعات تشكل الظواهر الاجتماعية شبكة من العلاقات العرفية. ونضرب مثلا لظاهرة من الظواهر الاجتماعية في البيئة أو المجتمع المصري :

ارتداء البيجاما في الشارع في القاهرة

'يُمتنع'

في الريف

'مقبول'

قانون العيب

ظاهرة اجتماعية خاصة بالمجتمع المصري

ويعتبر النظام القضائي في أي مجتمع من المجتمعات من أعقد الظواهر والحقائق الاجتماعية .

هذه الأفكار والآراء أفاد منها دى سومير^٢ أيما إفادة ، فضلا عن دقة استقرائه وإمعانه النظر في بناء نظريته اللغوية ، التي تقوم في أساسها على فكرة التقسيم والولع بالثنائيات .

١ - علم اللغة الوصفي :

يرتبط ظهور المنهج الوصفي كنظرية متكاملة الأركان بشخصية رئيسة غيرت مفاهيم علم اللغة واتجاهاته من المتغيرات إلى الثوابت ، ومن المعيارية إلى

(١) دوركايم ، قواعد المنهج في علم الاجتماع ٢٣ ، ٢٤ وانظر : جفرى سامسون ، مدارس اللسانيات ٣٥ : ٣٧

ملاحظة الواقع الفعلي للغة ، ومن الاقتصار على جانب واحد ، أو جوانب محددة إلى جوانب اللغة جميعها صوتية وصرفية ونحوية ودلالية ، كما انتقل بدراسة اللغة من هدفها التعليمي إلى هدف علمي في المقام الأول .

إنه فردنان دي سوسير اللغوي السويسري الذي ترك بصماته على لغويي القرن العشرين ، وأظن أنه سيمتد إلى أبعد من هذا القرن .

وبمعيار أهمية الكيف على الكم ، لم ينشر هذا العالم في حياته القصيرة سوى مؤلفين - ليس من بينهما كتاب " محاضرات في علم اللغة العام " -

أحدهما بعنوان "مذكرة حول النظام البدائي لأحرف العلة في اللغات الهندو أوربية" نال به شهرة علمية واسعة وهو في الحادية والعشرين من عمره .

والثاني بعنوان "مجموعة منشورات فردنان دي سوسير العلمية" ولكنه لم يحظ باهتمام مساوٍ لسابقه .^(١)

لقد درس دي سوسير في ليبزج (ألمانيا) مع النحاة الجدد ، وبدأت حياته العلمية بإسهاماته في علم اللغة الهندو أوربي المقارن ، وظلت مبادئ نظريته حيية في مذكرات تلاميذه حتى بعد وفاته بثلاثة أعوام ، وعندما ظهرت إلى الوجود في عام ١٩١٦ م ، لم تلق عناية كافية إلا بعد الحربين العالميتين الأولى والثانية .^(٢) أما أثناء حياته ، فإنه قد أصيب بنجيب أمل عندما لم يجد صدى لأفكاره الثورية في علم اللغة العام بين عامي ١٩٠٦ ، ١٩١١ م .

(١) جورج مونين ، علم اللغة في القرن العشرين ٤٨
(٢) ر . هـ . روبنز ، موجز تاريخ علم اللغة ٣١٨ ، ٣١٩

خلاصة القول :

إن دي سوسير قد أسس منهجا شكليا تركيبيا للغة، يعتمد على آراء وأفكار دوركايم في كون اللغة ظاهرة اجتماعية ، ويقوم هذا المنهج على مجموعة من الأسس والمبادئ التالية :

أ/ أسس النظرية ومبادئها

الأول : التمييز بين القضايا المزدوجة

تميز النظرية بتقسيم معالجة اللغة من خلال عدد من الظواهر الثنائية والتي يعارض بها النوع إلى التجزئة والانفصال، وأهمها هي :

١- ثنائية اللفظة / الكلام .^(١)

ميز دي سوسير بين اللفظة / اللغة، وبين اللفظة / الكلام ، بسؤال نفسه عن ماهية اللفظة؟ ثم أردف بالإجابة قائلا : اللفظة بمعناها الأعم "La Langage" ظاهرة اجتماعية عامة لا يستغني عنها المجتمع الإنساني، وهي تخرج عن نطاق الفرد، أي أنه لا يستطيع بمفرده إنشائها، ولا يمكنه تعديلها، وهي أيضا نظام من الرموز المتباينة التي تعبر عن أفكار مختلفة، وهي من جهة أخرى شيء يمكن دراسته بصورة منفصلة عن الكلام ، وهي تختلف عن اللفظة المعينة La Langue التي يقصد بها عادات مجتمع معين للتواصل وتبادل التفاهم والأفكار.

فقد ميز بين هذين المفهومين من ناحية والكلام La Parole كنشاط عضلي صوتي لدى الفرد بشقيه النفسي والاجتماعي من ناحية أخرى. وقسم دي سوسير

(١) ف. دي سوسير ، فصول في علم اللفظة العام ٢١ : ٤٢ وانظر : د/ تمام حسان ، متاهج البحث في اللفظة ٢١ د/ محمود فهمي حجازي ، البحث اللغوي ٢٢ د/ عبد الرحمن أيوب ، اللفظة والتطور ٦٧ ، ٦٨

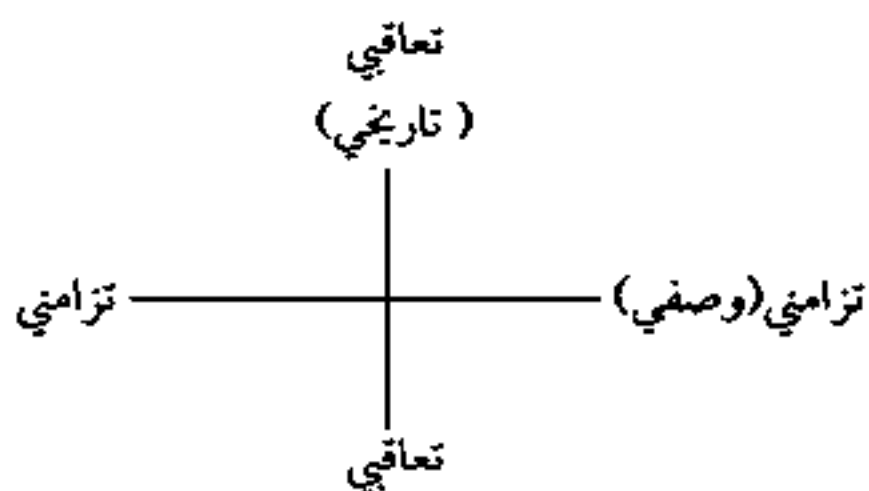
اللغة المعينة إلى ثنائية أخرى هي اللهجة كنظام لغوي جغرافي واللغة على المستوى الشخصي وفقا لثقافة الفرد أو حرفته.

٢- بعنا الدراسة اللغوية تعاقبية / تزامنية^(١)

بين دي سوسير إمكانية دراسة اللغة من خلال بعدين هما :

أ- البعد التاريخي أو التعاقبي Diachronic

وهو الذي يتتبع تطور اللغة عبر الزمن ، ويشتم بدمج المعطيات اللغوية المختلفة دون أن يصنفها تصنيفا واقعيا ، وهو أكثر بساطة وأقل أهمية ، وقد يعطى نتائج مضللة لأحداث منفصلة تاريخيا ، لأن الحقائق التاريخية غير مرتبطة بالحقائق الوصفية التي أفرزتها أو كونتها ، والمخطط الآتي يوضح البعدين التاريخي والوصفي :



ب- البعد الوصفي أو التزامني Synchronic

وهو الذي يعنى بدراسة المستوى اللغوي لعصر معين اعتمادا على الاستقراء الشامل للأمثلة ، ويستبعد أي تفسير تاريخي للتغيرات التي تطرأ

(١) ف.د. سوسير ، فصول في علم اللغة العام ١٤٢ ، ١٥٩ . ر. هـ. روبنز ، موجز تاريخ علم اللغة ٢١٩

عليه .^(١) أي أنه يستبعد عنصر الزمن ويركز على الظواهر المتعاصرة وهو في الواقع أكثر جدية وصعوبة من سابقه .

وينبغي في رأي ذي سوسير^(٢) ألا نخلط بين التنظيم اللغوي كواقع قائم بذاته وبين البعد التاريخي للغة ، وبمعنى آخر لا بد من معرفة اللغة كواقع قائم بذاته قبل تتبع تطور اللغة عبر الزمن . وهو لا يقصد بالدراسة الوصفية (المعاصرة وفق تعبير الدكتور عبد الرحمن أيوب)^(٣) قصرها على الوقت الحالي فحسب، أو دراسة اللغات الحية وحدها ، وإنما قصد بها دراسة أي لغة قديمة أو معاصرة (حية) من خلال نص مكتوب أو بوسائل سمعية في فترة محددة زمنيا .

وينبغي على الباحث الذي يتبع المنهج الوصفي، أن يطرح كل ما يتعلق بإنتاج اللغة جانبا، وينظر بدقة في حالة الثبات، لأن الوصف يتطلب التركيز على الحالة المستقرة، أما التطور فهو مسألة أخرى تستوجب البحث في تاريخ الظاهرة اللغوية مثال ذلك في الألمانية القديمة^(٤) .

المفرد		الجمع
Gast (ضيف)	←	Gasti (ضيوف)
Hant (يد)	←	Hanti (أيدي)

فنهاية الجمع كانت (I) ، وتغير حرف الصائت (a) إلى (ä)

Gasti	→	Gästi
Hanti	→	Hänti

ثم فقد الحرف الأخير (I) جرسه وأصبحت الكلمات في حالة المفرد

(١) D. Crystal , Linguistics P. 101 : 103

(٢) د . عبد الرحمن أيوب ، اللغة والتطور ٦٠

(٣) ذي سوسير، فصول في علم اللغة العام ١٤٦ : ١٥٠

والجمع حاليا :

Gasti → Gäste
Hanti → Hände

ويقابل هذه الظاهرة في الإنجلوسكسونية زيادة الصائت (I) في نهاية المفرد للدلالة على الجمع مثل:

Foti (قدم) ← Foti (أقدام)

بتغير حرف العلة (o) إلى (e) أصبحت في الجمع :

Foti → Feti

ثم سقط الحرف الأخير في النطق Feti وأصبح Fet

وتحولت في الإنجليزية الحديثة من Fet إلى Feet

وبالرغم من أن إضافة (I) في الإنجليزية والألمانية القديمتين كان يشير إلى الجمع في المرحلة الأولى، إلا أنه في المرحلة التالية تمايزت كل لغة منها عن الأخرى .

٣. ثنائية الدال والمدلول Signifié , Signifiant^(١)

اللغة في واقعها الأصلي نظام من الرموز ، وليست مجرد مفردات، وهذه الرموز عبارة عن دوال انتظمت في نسق واحد ، واكتسبت عرفيا^(٢) مدلولات معينة ، وهذه الوحدات اللغوية (الدوال) لا تتطابق مع الواقع الفكري أو المادي (المدلولات) تطابقا كلياً، فالرموز الصوتية والعبارات نظام متكامل يتضمن المحتوى الدلالي (المعنى) .

(١) د / محمود فهمي حجازي ، البحث اللغوي ٢٤ ، د / ميشال زكريا ، الألسنية علم اللغة الحديث . ٢٢٨ ، ٢٢٩

(٢) أي أنها ذات طبيعة اصطلاحية بين أفراد الجماعة اللغوية الواحدة ، وتستمد دلالتها من تنظيمها وفق أنساق متباينة.

إذن الصورة الصوتية ليست هي الصوت المادي، ولكنها شيء فيزيائي مختلف، وهي (الصورة الصوتية) تتطابق فقط مع الفكرة، ويكونان معا ما يسمى بالرمز .

وفي رأيي - تعد العلاقة بين الأفكار والأصوات أشبه بطبقتين من الماء في النهر أو المحيط ، تتركز الطبقة السطحية على الطبقة الأخرى أسلفها، وترتبطان معاً مع أن لكل طبقة منهما خواصها الذاتية .

ووظيفة اللغة هي الربط بين توزيع الأصوات والأفكار على النحو الذي نراه في المخطط التالي :

النظام اللغوي

الأفكار	كل شريحة صوتية / أو
الأصوات	مجموعة شرائح تعبر عن فكرة
	ويربط بينهما النظام اللغوي

واللغة بأي حال من الأحوال غير قادرة على حماية نفسها ضد القوى التي تعمل بين حين وآخر على تغيير العلاقة بين الدال والمدلول، مما يرجح أن العلاقة أو الرمز غالبا ما يكون اعتباطيا ، ونادرا ما يكون هناك علاقة بين اللفظ ومعناه .

٤- علاقة العناصر اللغوية : رأسية / أفقية^(١)

قسم دى سوسير العلاقات التي تربط عناصر الجملة إلى قسمين يعبر عنها بمحورين ، هما :

(١) ف. دى. سوسير ، فصول في علم اللغة العام ٢١٢ محمد الحناش ، البنيوية في اللسانيات ٩٦ د / محمود فهمي حجازي، البحث اللغوي ٢٤ .

أ- المحور الرأسي (أو - ما يسمى بالعلاقة الجدولية) Paradigmatic وهو الذي يوضح إمكانية تبادل الكلمات أو الرموز التي تشغل موقعا ما في الجملة كما توضح الأمثلة :

خزان	
برميل	
كوب	هو
زجاجة	أنا
١- ملأت كأس الماء	٢- أنت مجتهد

في الجملة (١) يمكن استبدال (خزان) أو (برميل) أو (كوب) أو (زجاجة) بالمضاف (كأس) ، وفي الجملة (٢) يمكن استبدال الضمير (هو) أو (أنا) بالمبتدأ (أنت) في العلاقة الجدولية الرأسية .

ب - المحور الأفقي Syntegmatic

حيث تنتظم عناصر الجملة في تتابع معين يمثل كل عنصر منها موقعا ما في الجملة. أهو مسند أم مسند إليه ؟ .. أهو مبن أم معرب ؟
وإذا كان معربا . أهو مرفوع أم منصوب أم مجزوم .. ؟ .. الخ .
وتمثل هذه العلاقة بالجملة التالية : إذا كان الجو جميلا سأخرج .

فكل عنصر من عناصر التركيب يتطلب تحديد الموقع والوظيفة والحركة الإعرابية ، فلا يكفي استبدال اسم باسم أو فعل بفعل أو أداة بأداة أخرى ، إلا إذا توفرت شروط الربط الأفقي .

وتعد هذه الثنائية أساسا للثنائية / أو البنيوية التي ظهرت بعد "دي سوسير" وتؤيد دعواه إلى استقلال علم اللغة . (١) ، وإن كانت أصول البنيوية وخطوطها الجوهرية قد مسها هيغل وجابلتزر وهمبولت بتأكيد جابلتزر علي الطبيعة البنائية للغة ، والتي تميزها عن النشاط الفردي 'الكلام' ، واتفاقهم علي أن البناء موجود في النحو والمعجم عند سائر البشر ، إلا أن التمايز يتأتي من جهة التركيب الفونولوجي والنحوي والمعجمي للغات ؛ كما تختلف طريقة الترابط الصوتي بينها.

٥. ثنائية السيميولوجيا / اللغة (٢)

السيميولوجيا عند "دي سوسير" علم يتناول دراسة التنظيمات التي تقوم علي الإشارة ، كالرسوم المتحركة وتنظيم السير في البر والبحر ، أما اللغة فإنها وإن بدت كتنظيم مستقل من الإشارات من حيث نظامها الداخلي ، إلا أنها جزء من السيميولوجيا.

٦. ثنائية المنطوق / المكتوب (٣)

نعرف سلفا أن الانطباعات المرئية أكثر ثباتا من الانطباعات السمعية، وبالتالي فإن الإنسان يفضل في معظم الأحيان الصورة الكتابية علي الصورة الصوتية، ويصاحب هذا عناية خاصة بقواعد الإملاء orthography .

(١) ز. هـ. روينز ، موجز تاريخ علم اللغة ٢٢١ ، د / محمود فهمي حجازي ، البحث اللغوي ٢٥
(٢) د / ميشال زكريا ، الألفية "علم اللغة الحديث" ٢٢٠
(٣) فه. دي سوسير، فصول في علم اللغة العام ٥٨ : ٦١ وانظر : محمد الحناش ، البنيوية في اللسانيات ١٨٢

وفقاً لهذه الفرضية ميّز دى سوسير بين النطق والكتابة ، ورأى أن النطق يسبق الكتابة ، ويتميز النطق بالتغير بينما تنماز الكتابة بالثبات وبالتالي فإن الكتابة تسبب غموض اللغة غالباً.

وقد رصد دى سوسير الخلط الذي وقع فيه اللغويون عند معالجتهم للغة والكتابة كأنهما شيان متلازمان ، وهذا مجاف للصواب تماماً، بدليل اختلاف النطق عن الكتابة في الإنجليزية :

for example Knife	تنطق لاتنطق	e.g K	سكين
لاتنطق	الألف	اسمعوا	العربية
لا تنطق	الواو	أولئك	
تنطق دون أن تكت	الألف	ذلك	

الثاني : مبادئ متفرقة

- ١- اللغة ظاهرة اجتماعية^(١)
- ٢- اللغة نظام من العناصر المترابطة معاً ، وتحتوي على عناصر فونولوجية وقواعدية ومعجمية ، وليست كيانات مكتفية بذاتها.^(٢)
- ٣- اللغة شكل وليست جوهرأً، ولا تعمل كرموز لغوية إلا من خلال خصائص تميزها عن غيرها ، فالفروق هي التي توضح ملامح الصور السمعية الأصوات حسب عرض هيلمسليف^(٣).

(١) D. Crystal , linguistics P. 101

(٢) ر.ه. روينز ، موجز تاريخ علم اللغة ٣٢٠

(٣) جورج مونين ، علم اللغة في القرن العشرين ٥١

في النصف الأول من القرن العشرين ، أخذت تتنوع مدارس علم اللغة الوصفي التزامني واتجاهاته ، الذي وضع دعائمه ذي سوسير^١ وأثر على المدارس اللغوية الأوروبية ، أما على الشاطئ الآخر في أمريكا فقد كان تطور علم اللغة الوصفي مستقلاً ومختلفاً عن اتجاهاته في أوروبا ، وبدأت مراحل نموه على يد أحد علماء الأنثروبولوجي الأمريكيين ، ويدعى فرانز بواس F. Boas

وسنعالج في شيء من الإيجاز أهم مبادئ هذه المدارس واتجاهاتها على النحو التالي :

٢ - المدارس الأوروبية

٢/١ - مدرسة جنيف

إذا جاز لنا من الناحية الشكلية وضع دي سوسير^٢ علما علي رأس مدرسة جنيف ، فإن هذا سيتعارض فعليا مع أحقيته في قيادة المدارس اللغوية الأخرى ، التي اعترفت - بلا شك - من مبادئه وأفكاره وطورتها في اتجاهات شتى.

ولما كان ذلك كذلك ، نفضل إطلاق هذا المسمى علي أعمال تلاميذه وعلي رأسهم تشارلز بالي^٣ (١٨٦٥ - ١٩٤٧) ، و ألبرت سيشهاي (١٨٧٠ - ١٩٤٦) ثم يأتي بعد ذلك أبرز أتباعهما هنري فراي^٤ وتتميز هذه المدرسة بولائها الشديد للمنهج الوصفي ، وبحسب لها ما أنجزته في دراسة العناصر الإنفعالية الأسلوبية في اللغة^(١)

٢/ب - المدرسة الوظيفية (مدرسة براغ)

شكل فريق من اللغويين التشيك وغيرهم (١٩٢٦ م) اتجاها وصفيا يعتمد

(١) د / محمد حسن عبد العزيز ، سوسير رائد علم اللغة الحديث ، ١٢٨

على مبادئ وأفكار دي سومير في اللغة باعتبارها نظام من الرموز، وتميزت آراء أعلامها بالربط بين اللغة ووظيفتها أي : تحليل اللغة بهدف الكشف عن وظائف مكوناتها البنيوية ، وهو مبدأ وسمه فارقة بينها وبين المدارس الأخرى المعاصرة لها . (١)

إن تحليل اللغة بغرض الكشف عن مكوناتها البنيوية هو الهدف الأساسي الذي تبناه أنصار مدرسة براغ أي أنهم وجهوا جل عنايتهم إلى إبراز الوظائف التي تؤديها المكونات البنيوية للغة ، وهي كما أسلفنا أهم السمات المائزة لفريق براغ عن معاصريهم من المدارس الأخرى ، وبالتالي فإنهم تجاوزوا الوصف الذي اختاره الوصفيون الأمريكيون إلى التفسير وبيان الأسباب التي وراء اتخاذ بعض اللغات شكلا معينا في بنائها .

وقد نشرت هذه المدرسة أفكار علمائها تحت عنوان أعمال حلقة براغ ، وهي تنماز فضلا عما سبق بعناية خاصة بالدراسات الفونولوجية، وهذا لا يفتى عنها بعض المساهمات في علمي اللغة والأسلوب .

وبحسب لهذه المدرسة عنايتها بالجوانب الجمالية والأدبية في الاستعمال اللغوي.

ويرجع فضل تأسيسها إلى كل من ويليم ماثيسوس V. Mathesius

ونيكولاى ترويتسكوى N. Troubetzkoy ورومان ياكسون R. Jaksbson

من الأفكار التي عرضها ماثيسوس ما يتعلق بالتفسير الوظيفي للمسند

rheme ، والمسند إليه theme في إطار المنظور الوظيفي للجمل ، فإن المسند إليه يشير إلى

شيء عرف مسبقا لدى السامع / المستقبل ، بينما ينص المسند على حقيقة جديدة (٢) .

وبالتالي فإننا لا نصوغ عبارتنا وفق ما نريد أن نعلم السامع ، ولكن بناء على ما يعرفه مسبقا وفق السياق الذي بنى في الموضوع حتى تلك اللحظة .
والمسند إليه يتقدم المسند عادة ما لم تكن هناك ضرورة تستوجب إعطاء معلومات أخرى تخالف النظام المألوف، ففي الإنجليزية مثلا تتحدد العلاقات النحوية وفق ترتيب المفردات التي تلتزم الثبات الفاعل - الفعل ثم المفعول وهكذا.

ولا يشكل هذا الأمر عقبة في اللغة التشيكية كلغة متصرفة ، حيث يشغل الفاعل فيها المرتبة الأخيرة في الجملة فيقال: *Evu Polibil Jan* بمعنى: جان قبل أيضا

حيث تقوم اللاحقة *u* التي انتهى بها *Evu* بدلالة المفعولية، ولم يلحق بالفعل *Polibil* علامة التانيث ، وبالتالي فإن المطابقة بين الفعل والفاعل تحقق سلامة الجملة .

ومثلها في العربية :

كوّن المدرب مجموعة من اللاعبين .

أو المدرب كوّن مجموعة من اللاعبين .

بتجاهل العلامة الإعرابية نلاحظ أن الفاعل هو "المدرب" لأن المفعول يدل على مؤنث، والفعل لم تلحق به علامة التانيث ، ومن ثم يصح التفسير الوظيفي لعناصر الجملة .

وفي حالة البناء للمجهول ينبغي تأخير المفعول (الفرقة) وفقا للمطلب الوظيفي إلى نهاية الجملة كما في نحو :

كُوتَ الفرقة الموسيقية.

ولذلك سلكت الإنجليزية مسلكاً توفيقياً بين ما يتطلبه النحو من ضرورة تقديم الفاعل، وما تتطلبه الوظيفة من وجوب تأخير المسند (المدرّب - أو المقبل) إلى آخر الجملة باستخدام شكل خاص من أشكال الفعل كما يلي:
Eve was kissed by John

وصيغة البناء للمجهول في التشيكية نادرة الحدوث .

* تروبتسكوي

لغوي من أصل روسي ، كان أبوه أستاذ للفلسفة في جامعة موسكو ، وقد عمل تروبتسكوي بداية في جامعة موسكو بداية في جامعة موسكو ثم انتقل إلى جامعة فيينا أستاذ لكرسي اللغات السلافية .

وشارك الأمير السابق تروبتسكوي أعضاء حلقة براغ عند تكوينها تحت إشراف مائيسوس بعد أن انتقل للعمل في جامعة فيينا عام ١٩٢٢م

وتصنف أفكار 'تروبتسكوي' عن اللغة ضمن الإطار الوظيفي ، فقد كان تروبتسكوي يسند دوراً وظيفياً أساسياً للفونيم ، ويتجلى ذلك في كتابه 'مبادئ علم الأصوات الوظيفي Principles of Phonology' ، وكان اهتمامه بالعلاقات الرأسية بين الفونيمات يمثل ذروة أعماله وأكثرها دقة وتميزاً .

فقد ميز بين التقابل الخاص : Private Opposition مثل V, F حيث يكون الفونيمان متماثلين باستثناء سمة واحدة هي الجهر - الهمس ، وبين التضاد المتدرج Gradual Opposition كما في حالة التمييز بين الصوائت i, e, ae لتفاوت نسبة الاتساع. (أقصد اتساع مجرى الهواء)، وبين التقابل المكافئ equipollent opposition كما في حالة وجود سمة مميزة للصوت نحو: K, t, p .

وأشار تروبتسكوي إلى أن التقابل الفونيمي قد يكون مؤثراً في بعض السياقات، ومنعدم الأثر في سياقات أخرى، كما يحدث في الألمانية بين d, t ، حيث ينعدم التقابل في أواخر الكلمات:

ف t تستخدم في أواخر الكلمات، و d في آخر الجذر، والتي تتبعها لاحقة، عند سقوط اللاحقة تتحول إلى t نحو:

ba : den / baden يستحم

ba : t / bad حمام. (١)

وحد الفونيم عند تروبتسكوي إنه نموذج / وحدة صوتية مستقلة لها القدرة على التمييز بين الكلمات وأشكالها، أو هو أصغر وحدة تشكيلية في اللسان المدروس.

فكل صوت مكون من مجموعة من العناصر، وهي كل غير قابل للتفتيت أو التجزئة أو التحليل فالبناء مصلاً من الناحية الصوتية تتمثل في سلسلة كم الحركات النطقية، فهي إذن وحدة تشكيلية غير قابلة للتحليل زمنياً، وهو ما ينطبق على الوحدات التشكيلية الأخرى.

ولفونيم وظيفتين هما:

- ١- تحديد معنى الكلمة كسمة إيجابية.
- ٢- الفصل والتمييز بين كلمة وأخرى كسمة سلبية.

والعضو الثالث في هذه الحلقة هو زومان ياكبسون الروسي الأصل الذي اقترن اسمه بمعهد ماساتشوستس للتكنولوجيا MIT، ويعد هذا العالم أهم أعضاء

(١) جفري سامسون، مدارس اللسانيات

حلقة براغ؛ وكان لأفكاره أثراً واضحاً في تشومسكي واللسانيات الأمريكية خلال العقدين الأخيرين .

وتعد نظريته في الصوتيات الوظيفية أهم ما قدمه من أعماله، فقد اهتم بتحليل الفونيمات إلى الملامح المميزة لها، مما دعا ياكسون إلى الاستعانة بالآلات والأجهزة في دراسة الأصوات وتحديداتها بدقة، وأدى هذا بالتالي إلى تطور هذه الدراسة لما يعرف بعلم الأصوات التجريبي Experimental phonetics ،

وتقوم فكرته في علم الأصوات الوظيفي على وجود نظام مبسط نسبياً وكلها يقع تحت الشكل الفوضوي الذي يضم جميع الأصوات اللغوية ، ويرى ياكسون أن نظم الأصوات في اللغات المختلفة لا تتجاوز كونها فروقاً سطحية لها أساس عميق وثابت .

ويظهر لنا بوضوح عناية رومان ياكسون بالدلالة والتركيب والمنهج البنيوي للأدب، كما وجه عناية خاصة للغة الأطفال والمعاقين. وتتمايز معالجته للمستوى الفونولوجي برصد السمات السمعية على العكس من ثرويتسكوي الذي اعتمد على السمات النطقية ، كما صنف الفونيمات حسب سماتها الكلية (± مظهر ..) وربط بين تطور اللغة عند الطفل وضعفها لدى المصابين بالأفازيا أي : مرض عدم القدرة على الكلام (١) .

ومع أن أندريه مارتينييه A. Martinet لم يعش في براغ أبداً ، إلا أنه يعتبر أنخلص أتباع منهج ثرويتسكوي في مجال الفونولوجيا، وهو من أكبر المؤيدين المعاصرين لأفكار مدرسة براغ ، ويعتبر مفهوم التاج الوظيفي للتقابل الصوتي من

(١) المصدرين السابقين ٢٤١:٢٤٥ ، ١٥ ومبعدها.

أهم المفاهيم الأساسية التي اعتمد عليها مارتينية لتفسير التغييرات الصوتية (١) كما أنه يعتبر مفهوم النطق المزدوج من المبادئ الأساسية التي بنى عليها آراءه اللغوية ، أي أن الوحدة اللغوية ذات وجهين: مونييم وفونيم. (٢) .

أولا ج - مدرسة كوبنهاجن

على غرار حلقة براغ لعلم اللغة، أسس لويس هيلمسليف Hjelmslev I. وفيجو برونندال V. Brøndal مدرسة لغوية تتوسل بمبادئ وأفكار دي سوسير سميت حلقة كوبنهاجن لعلم اللغة (١٩٣١م).

تنطلق هذه المدرسة من تعريف دي سوسير ، بأن اللغة شكل وليست جوهرأ ، ويعتبر هيلمسليف أول من اعتنى بتطبيق المنطق الرياضي أو الرمزي على اللغة لوضع نظرية عامة لها ، لا تكفي بتحليل نص من النصوص بل تطمح إلى تحليل كل النصوص .

ولم تقف أعمال هيلمسليف عند حد محاكاة دي سوسير أو مدرسة براغ وتبنى أفكارهما ، وإنما حرص على التميز من خلال تطوير وبلورة مصطلح 'Glossematique' جلوسماتيك الذي ظهر عند دي سوسير لأول مرة بمعنى مختلف من حين لآخر، وهذا المصطلح منقول عن الكلمة اليونانية glossa بمعنى لغة (٣)

(١) جورج مونييم ، علم اللغة في القرن العشرين ١٦٠

(٢) المونيم هو أصغر وحدة معنوية يشكلها اللكسيم والمورفيم كما في قولنا: تكلم الصادقون - كلم، صادق (لكسي) التاء، ال ، ون (مورفيمان) ، والفونيم: هو أصغر وحدة صوتية لمزيد من التفصيل حول ميادئة: د. / ميشال زكريا ، الألسنية، علم اللغة الحديث ٢٥٢ : ٢٥٧ .

(٣) جورج مونييم ، علم اللغة في القرن العشرين ١٢٧ : ١٣٩

أما مصطلح الجلوسيم فيقصد به عند هيمسليف الأشكال الصغرى التي لا تقبل التجزئة .

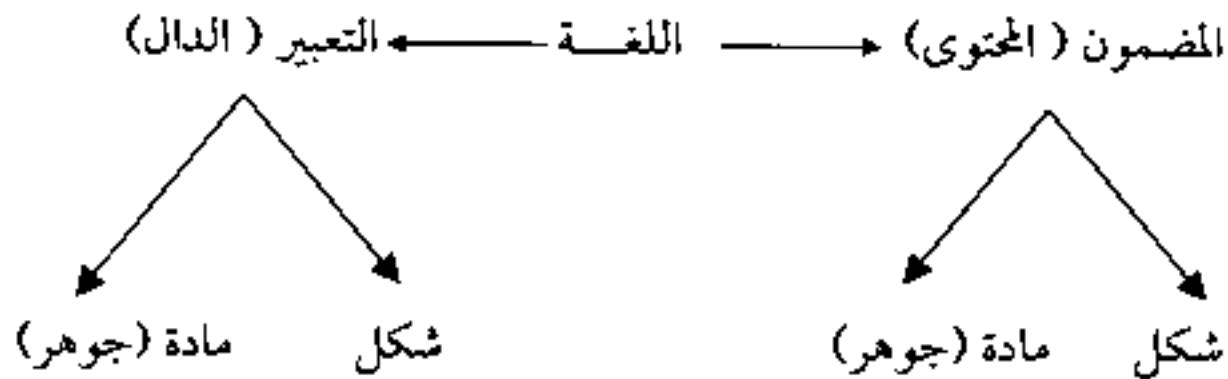
تقوم نظرية الجلوسيمات على دراسة النص وتحليله لوحدات صغرى ، بينما مجموعة من العلاقات ثم توصف العلاقات بين هذه الوحدات ، حيث تتضمن كل وحدة لغوية مستويين هما :^(١)

أ. مستوى التعبير

ب. مستوى المحتوى

يمثل مستوى التعبير الغطاء الصوتي وموضوعه الدراسة الصوتية، بينما يمثل مستوى المحتوى عالم الفكرة وموضوعه الدراسة الدلالية، ولكل من التعبير والمحتوى شكل وجوهر. الشكل يقبل التحليل إلى هياكل (جلوسيمات) والتغير الذي يطرأ على البنية له علاقة بالشكل لا بالجوهر ، والجوهر المادي يوصف من خلال الشكل .

و يمكننا تصور هذه العلاقات في المخطط التالي :



وتشكل هذه المكونات أربع طبقات :

(١) وهما يقابلان الدال والمدلول عند "دي سوسير".

١- المحتوى (المدلول) والشكل

٢- المحتوى والمادة

٣- التعبير (الدال) والشكل

٤- التعبير والمادة

تمثل الطبقتان ١،٣ (المحتوى والشكل، التعبير والشكل) اللغة الفعلية، بينما تمثل الطبقتان ٢، ٤ (المحتوى والمادة، والتعبير والمادة) الحقائق الخارجية.

فكل ما ينتمي إلى مستوى التعبير ومستوى المحتوى يرتبط حتماً باللغة ، واللغة تستخدم أصواتاً لغوية محدودة ، هذه الأصوات تختلف في طرق توافقها ضمن نظام اللغة، أما مستوى التعبير فإنه يتكون من مادة مشتركة بين سائر اللغات ، ومادة المحتوى مشتركة أيضاً بين لغات البشر ، أما شكل المحتوى (المدلول) فخاص بكل لغة .

ومادة التعبير هي موضوع دراسة الفوناتيک (الأصوات) ، أما مادة المحتوى فهي موضوع الدراسة الدلالية (المعنى)، وهما يشكلان معاً مجالات مساعدة لعلم اللغة .

والخلاصة إن نظرية الجلوسماتيک قد عجزت لغوياً على مستوى التطبيق ، فعبداً الجلوسماتيک لم ينجح في تنظيم التحليل الوصفي لكل اللغات ، ولم يجد من التراكيب الجبرية ما يناسبها .

ورغم ذلك فإننا نشهد بأن هيلمسليف قد تبنى منهجاً علمياً واضحاً يعتمد على الملاحظة والاختيار ، فهو صاحب منهج تجريبي ينطلق من متطلبات ثلاثة هي:

- أ- الاتقياد لمبدأ التبسيط .
 - ب- التكامل والشمول .
 - ج- الترابط وعدم التناقض .
- هذا المنهج العلمي الواضح كان من أهم ما استرشد به اللغويون بعده .

أولاً / د- مدرسة لندن

كان التركيز على علم الأصوات من التقاليد الإنجليزية العريقة في دراسة اللغة ، وترجع شهرة المدرسة اللندنية إلى هنري سويت H. Sweet (القرن التاسع عشر) الذي يعد في طليعة المهتمين بالدراسات الصوتية في إنجلترا ، ووضعها في مقدمة الدول الأوربية في علم الصوتيات .

ثم انتهج دانيال جونز D. Jones نهج سلفه سويت في دراسة الأصوات، وهو الذي وضع نظام نقاط القياسات الأساسية للصوائت. (١)

ويظهر فيرث J.R. Firth (١٨٩٠ - ١٩٦٠م) أول أستاذ للغويات العامة في بريطانيا، الذي عرف باهتمامه الخاص باللغات الشرقية، ودرس علم اللغة دراسة علمية متميزة بدأت مرحلة جديدة لهذا العلم في إنجلترا تعارض تقاليد الدراسة اللغوية عند بلومفيلد (أمريكا) .

وقد وسم الدكتور كمال بشر (٢) منهج فيرث بالشكلية التركيبية ، لأنه يسجل الحقائق اللغوية وفق صورها الشكلية وأنماط الصيغ الكلامية في التركيب .

(١) جفري ماسون ، مدارس اللسانيات ٢٢٦
(٢) د/ كمال بشر ، دراسات في علم اللغة ١٧٢

ومما لا شك فيه أن نظرية 'فيرث' في المعنى ، والتي تعد أهم إنجازاته في علم اللغة تعتمد على الأسس التي وضعها الأنثروبولوجي البولندي 'ماليونوفسكي' صاحب مقولة : إن رؤية اللغة كوسيلة لنقل الأفكار من رأس المتكلم إلى رأس السامع ليست إلا خرافة مضللة^(١) . لأن اللغة في الاستعمال البدائي ليست سوى حلقة اتصال في النشاط البشري ، واللغة ليست قولاً ، بل هي في واقع الأمر عمل .

انظر مثلاً إلى الأوامر العسكرية ، والعبارات التي يلقيها المهندس على العمال في موقع العمل ، حتى الحوار خارج الأنشطة المشتركة لأطراف الحديث يؤدي إلى الحفاظ على الروابط العاطفية بين المتكلمين ، وهذه الآراء بالطبع ليست صادقة تماماً في رأيي فعبارات المجاملة والثثرة لا تخرج عن كونها وسيلة لنقل الأفكار وطمأننة المستمع إلى موقف المتكلم .

وقد تأثر 'فيرث' بهذه الآراء بصورة ما ، كما يظهر ذلك في مساواته بين العبارة الكلامية والفعل .

وفي معرض حديثه عن المعنى قال : إن نقل الفكرة من المتكلم إلى السامع لا يتم بمعزل عن 'مقتضى الحال' Context of situation ، ويرى 'فيرث' أن المدارس اللغوية الأخرى اعتنت بالتركيب الداخلي للغة أكثر مما يجب ، وأغفلت استعمالها الفعلي في المجتمع رغم علاقتها بالجانب الأول . ومن ثم فإن استعمال اللغة محكوم بمبادئ أساسية هي :

(١) نقلاً عن 'ماليونوفسكي' ٩ أنظر : جفري سامسون ، مدارس اللسانيات ٢٣٨

١. السياق^(١)

فالكلمة لا يتعرف على معانيها بدقة إلا من خلال فكرة السياق الذي أعاد إحياءها على صورة نظرية علمية ، فعلى سبيل المثال تتحدد دلالة الفعل "طلى" في العبارات التالية حسب السياق :

- أ- طلى الشيء بكذا .. أي : دهنه
- ب- طلى الليل الأفق أي : غشاه بظلمة
- ج- طلى فلاناً أي : شتمه
- د - طلى الظبي .. الفرس : ربطه وحبسه

٢- المقام أو المناسبة :

يضم عناصر أهمها :

المتكلم نوعه وعمره وعدده ومكانته وعلاقته بالمستمع وجنسه ودينه.
المستمع وما يتبعه؛ وعلاقة المتكلم بالمستمع صداقة/ قرابة/ غريب/
عدو.. الخ.

والخلاصة: إن مفهوم فيرث للمعنى تكونه مجموعة من العلاقات والخصائص اللغوية التي يكشف عنها الموقف المعين الذي يحدده السياق.

وقد قسم السياق عنده إلى :

سياق لغوي (علاقات صوتية .. نحوية الخ)

سياق الحال (الظروف الاجتماعية / البيئة الثقافية للمتكلمين) .

(١) هو الكلمات التي تحيط بالكلمة التي يراد توضيح معناها

٣- الموضوع :

(عناصره - المكان والزمان ودواعي إنتاج العبارة أو الجملة..... الخ) ^(١)

وقد ساهم فيرث فضلاً عما قدمه في نظرية علم الدلالة بمعالجته للصوتيات الوظيفية التي وسمت بتعدد النظم Polysystematic ^(٢).

وإبعاً /٢- المدارس الأمريكية

أشرنا فيما سبق إلى اختلاف أسلوب تطور علم اللغة الوصفي في أمريكا عنه في أوروبا على يد ثلاثة من العلماء الأمريكيين في الأنثروبولوجيا واللغة ، وهم فرانز بواس وإدوارد ساير وليونارد بلومفيلد، ولم يكن هؤلاء متقطعي الصلة بأسلافهم من علماء اللغة الأمريكيين مثل (وليم دوايت وايتني W. D Whitney) ^(٣) وغيره .

لقد تبني الأمريكيون منهجاً يعظم من دور العلاقات الأفقية بينما اتجه الأوروبيون إلى منهج يعطي أهمية أكبر للعلاقات الرأسية .

فرانز بواس (١٨٥٨ - ١٩٤٢)

واحد من أهم رواد الأنثروبولوجي اللغوية ، الذي أثر تأثيراً عظيماً في الفكر اللغوي الحديث ، وتعلم على يديه نخبة من علماء اللغة في النصف الأول من القرن العشرين هم : ساير ، كروير وبلومفيلد.

وقد ركز بواس جمل اهتمامه على منهجية وصف التكوين الخاص لكل لغة، مما ساعد على استخلاص المنطق البيوي الذي يعكس تفاوت المنطق الثقافي .

(١) نايف خرما ، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ١٢٢

(٢) جفري سامسون ، مدارس اللسانيات ٢٢٩ ، ٢٣٠

(٣) أول عالم أمريكي بحث في بنية اللغات الأمريكية - الهندية - انظر جورج مونين ، علم اللغة في القرن العشرين ١٢

ومن أهم مقولاته عن النسبية اللغوية قوله في كل كلام منطوق، تعمل مجموعة الأصوات المنطوقة من أجل أداء الأفكار، وكل مجموعة من الأصوات لها معنى معين. فاللغات لا تختلف في طبيعة عناصرها الصوتية فحسب، بل تختلف - أيضا - في مجموعة الأفكار المعبر عنها في مجموعات صوتية محددة^(١)

إنه يلمح في الفقرة السابقة إلى أن التنوعات اللغوية فضلاً عن التجارب التي يمر بها هي التي تؤسس للكلام المنطوق، ففى تجاربنا الواقعية لا يوجد انطباعات حسيان متماثلان، أو حالتان عاطفيتان متشابهتان تماماً فاللغة إذن تعبر عن تجربة واقعية للمجتمع أو الفرد، وتتفاوت اللغات بتفاوت الثقافات.

إدوارد ساير (١٨٨٤ - ١٩٢٩)

هو أستاذ الأنثروبولوجيا واللسانيات في جامعتي شيكاغو وويل
اقتضى ساير خطوات أستاذة، وكان لعمله الميداني أثر كبير في اطلاعه على
ثراء التنوعات اللغوية.

وقد عبر ساير عن طبيعة العلاقة بين علمي اللغة والاجتماع بما يخالف
نظرية دوركايم التي تعتبر اللغة معلماً ثابتاً، وله وجود كلي في المجتمع، فذهب
ساير ومعه وورف إلى أن اللغة تتحكم في كل تفكيرنا حول المشاكل الاجتماعية،
وأن المجتمعات تعيش تحت رحمة اللغة التي تعبر عنه، فهي ليست مجرد وسيلة
عرضية لحل المشكلات الخاصة بالاتصال والتفكير، ووفق تعبير ساير لا توجد
لغتان متماثلتان تماماً حتى نعهما ممثلتين لواقع اجتماعي محدد.^(٢)

(١) Ballmer, T. & B. Lexical Analysis and language Theory P.430.

(٢) Carroll. T. : Language, Thought and reality P. 212 : 213.

و بمقاربة نص سابير يتكشف لنا تباين الرؤية بين علماء الاجتماع والأنثروبولوجيين، وتتضح فكرة الهيمنة التي يطلق عليها الختمية اللغوية وهي التي تؤكد على وجود تمايزات لغوية كمحصلة للتمايزات الثقافية .

وقد انعكس تعاون بواس مع سابير على ارتباط علم اللغة بالأنثروبولوجيا في الجامعات الأمريكية إيجابيا . واعتمد بواس بشكل أساسي على جمع النصوص شفويا وتسجيلها .

وأهم الآراء التي طرحها هي أن فهم المجتمع يكون عن طريق دراسة ثقافته، ودراسة ثقافة الشعوب لا تتم بمنأى عن دراسة اللغة ، وأن لكل لغة بناء خاص بها ينبغي وصفها في ضوءه .

وتأثر إدوارد سابير بأستاذه (بواس) في جمع مادته اللغوية حقليا، فجمعت دراساته بين اللغة والأنثروبولوجيا. وتتمثل آراؤه ومبادئه في (١).

١- تعد اللغة من مكونات الثقافة ، فلا يمكن فصل أحدهما عن الآخر ، كما أنها لا تنفصل عن مظاهر السلوك الإنساني، أي أن العلاقة بين اللغة والثقافة علاقة تفاعل متبادل .

٢- فرضية النسبية اللغوية أو ما يطلق عليه فرضية وورف سابير Whorf - sapir (٢) التي يمكن إيجازها في نقطتين :

أ- يعبر كل اختلاف في النظام اللغوي عن اختلاف في تصور الجماعة لعلاقتها بالعالم المحيط ، فلكل جماعة لغوية تصور معين للعالم والأشياء .

(١) د/ ميشال زكريا ، الألسنة " علم اللغة الحديث " ٢٢٢ ، ٢٢٣

(٢) تلميذ سابير ومساعدته الذي قام بأبحاثه وفقا لمشاريع أستاذه .

ب- لغة دور أساسي في تراكم الثقافة ، وانتقال المعارف عبر الأجيال .
وقد بنيت هذه الفرضية على أساس تجريبي قام على دراسات اثنو - لغوية
(لغويات عرقية) لما يقارب ألف لغة .

٣/١ - بلومفيلد والنظرية السلوكية^(١)

حرص بلومفيلد (١٨٨٧ - ١٩٤٩ م) على اتباع المنهج العلمي لدرجة
تصل حد الصرامة ، واعتمد بصورة رئيسة على التحليل الشكلي للغة وهو يمثل
الاتجاه السلوكي "Behaviorism" في ضوء التفسير الميكانيكي ، وظلت آراؤه
وتفسيراته في علم اللغة مهيمنة على الدراسات اللغوية في الولايات المتحدة حتى
عام ١٩٥٧ م.

ويمثل بلومفيلد نمطا من اللغويين الذين ارتبطوا ارتباطا وثيقاً بالجهود
الأوربية في علم اللغة المقارن واستفادوا منها ، كما عاصر بدايات الدراسات
الأمريكية للغات الهند الحمر ، وفي الوقف نفسه قام بدور كبير في تأصيل
الدراسة الوصفية.^(٢)

وقد أحرز كتابه "اللغة Language" نجاحاً كبيراً شغل الأوساط العلمية
آنذاك بتناوله دراسة اللغة بوصفها نمطا من السلوك القابل للملاحظة
والتحليل ، على أساس أن اللغة في ضوء النظرية السلوكية جزء من سلوك
الإنسان .

(١) انظر : جورج مونين ، علم اللغة في القرن العشرين ١١١ د / محمود فهمي حجازي ،
البحث اللغوي ٣٧

(٢) د / محمود فهمي حجازي ، البحث اللغوي ٣٧ .

وخلافا لما استنتجه تلاميذه من قوله "إن تحديد المعنى يشكل نقطة الضعف في دراسة اللغة ، وأن الأمر سيظل كذلك ما لم تتطور معارفنا عما هي عليه الآن (١) فإنه قصد بذلك التنبيه على وجوب معرفة المتكلم وعالمه أولا قبل البحث في مشكلة المعنى، بدليل قوله في الصفحة السابقة لكي تقدم تعريفا صحيحا علميا عن دلالة أي شكل لغوي فإنه ينبغي علينا أن نملك معرفة علمية صحيحة عما يكون عليه عالم المتكلم لأن التطور الحالي للمعرفة الإنسانية غير كاف لتحقيق هذه الغاية (٢) ومن ثم فإن الادعاء بإخراج علم الدلالة من دراسة علم اللغة من آراء بلومفيلد فيه تعسف وانحراف في التأويل . لأن بلومفيلد أعطى علم المعاني (يقصد الدلالة أو المعنى) كل حقوقه من خلال فقرات مختلفة في كتابة كما أشار مونين (٣)

وإذا تتبعنا كتاب 'Language' في طبعته ، فإننا نجد أن طبعته الثانية التي صدرت عام ١٩٣٣ م تختلف عن طبعته الأولى في عام ١٩١٤ م . فثمة تنقيحا لحق طبعته الثانية بعد لقاء بلومفيلد لأستاذه في علم النفس (ألبرت وايس A. Weiss) صاحب كتاب الأسس النظرية للسلوك الإنساني الذي تأثر به بلومفيلد ، وأسس فهمه للغة على مبادئه، حيث يرى في كتابه هذا أن علم النفس علم بيواجماعي "Biosocial" باعتبار أن سلوك فرد ما يقوم بدور المنبه في إثارة فرد آخر ، وفي الوقت الذي يكون السلوك نشاطا بيولوجيا فإنه (السلوك) في نفس اللحظة يكون اجتماعيا .

وفق هذا الرأي يذهب بلومفيلد إلى أن اللغة هي صاحبة الدور الأول والرئيسي في تنظيم المجتمع ، وتمثل ذروة النظام البيواجماعي (٤) .

(١) L. Bloomfield , Language P. 140

(٢) Ibid P. 139

(٣) جورج مونين ، علم اللغة في القرن العشرين ١٢١

(٤) ودورث ، مدارس علم النفس المعاصرة ١٢٦

واللغة حسب بلومفيلد والسلوكيين تعد نوعاً من الاستجابة الصوتية لأحداث معينة .

ويمكننا بعد ذلك عرض مبادئه وأفكاره بإيجاز في (١) .

المبادئ والأفكار :

- ١- ارتباط الصوت اللغوي بالدلالة .
- ٢- تنقسم الأشكال اللغوية إلى شكلين :
أ- شكل مستقل ب- شكل غير مستقل
والشكل غير المستقل لا بد من ارتباطه بشكل آخر . والعنصر اللغوي يظهر في شكل مركب دائماً مع وجود شكل غير مركب (أي مبسط) وهو المورفيم .
- ٣- يعتمد المعنى جزئياً على تنظيم الصيغ ، والنحو يشكله الترتيب الذي يحدد معنى الصيغ، وهناك طرق أربع لتنظيم الصيغ اللغوية هي :

(أ) التابع

(ب) الفونيمات الثانوية

(ج) الاختيار

(د) توزيع عناصر اللغة حسب تصنيفها (فعل - اسم - صفة)

- ٤- يمكن تصنيف الأشكال النحوية في خطوات ثلاث :

أولاً : تحديد نمط الجملة (خبرية - إنشائية)

(١) د/ ميشال زكريا ، الألسنة - علم اللغة الحديث - ٢٤١ د/ صلاح حصنين ، دراسات في علم اللغة الوصفي والتاريخي والمقارن ١٦٤

ثانياً : تحديد عناصر التركيب .

ثالثاً : تحليل كل عنصر (شكل مستقل + شكل غير مستقل)

الخطوة الأولى والثانية تنتميان لعلم التركيب ، بينما تمثل الخطوة الثالثة علم الصرف .

٥- تقوم النظرية السلوكية في اللغة على العلاقة بين المثير (الحافز / الدافع) والاستجابة . واللغة في هذه النظرية شكل من أشكال الاستجابة لمثير ، وليست الشكل الوحيد لها .

فقد يكون للمثير أو الدافع رد فعل لغوي ، وربما يكون له رد فعل عملي ، ومن المحتمل أن يجتمعا معاً .

مثال : إذا كان المثير رؤية أسد / حية ، فإن رد الفعل قد يكون التحذير منه (رد فعل لغوي) ، وقد يكون رد الفعل إطلاق الساقين للريح ، أي الجري بعيداً عن موقع الخطر (رد فعل عملي) ، وقد يكون رد الفعل لغوياً للمرافق وعملياً لأول من تأثر بالمثير وهو حدث الرؤية ، كما في المخطط :

حافز ← رد فعل عملي (الجري)

حافز ← رد فعل لغوي (١) (التحذير)

حافز ← رد فعل عملي + لغوي (التحذير والجري)

وهذا يعني أن عملية الكلام تمر بالمراحل التالية :

أ- حدث سابق لعملية الكلام .

ب- عملية الكلام ذاتها .

ح- حدث ما بعد الكلام

٦- رفض المذهب العقلي في علم اللغة لحساب المذهب الشكلي لأن الأخير يحقق الموضوعية.

ففي رأي 'بلومفيلد' ينبغي دراسة سلوك العناصر داخل البنية اللغوية وفقاً لمواقعها في الجمل والعبارات ، فتلك الوحدات رغم محدوديتها، إلا أنها تتمتع بقدرات توزيعية غير متناهية / محدودة .

هذا المنهج التوزيعي الذي تبناه بلومفيلد صار مرشداً وهادياً لتابعه في وصف ودراسة اللغة .

والفكرة الأساسية التي تقوم عليها النظرية التوزيعية هي :
فكرة الإحلال والإبدال (١)

مثال: ذلك استبدال الفونيم (ص) في الكلمة (صام) بالفونيم (ن) في الكلمة (نام) ، واستبدال كلمة (الوطن) في الجملة : الوطن يقدر أبنائه، بالكلمة (الأب) حيث تنتمي (ن)، (ص) إلى طبقة لغوية واحدة هي الفونيم، وتنتمي الكلمتان (الوطن ، الأب) إلى طبقة الأسماء وهكذا بالنسبة للأفعال وغيرها.

٧- فكرة المورفيم فكرة توزيعية تقوم على تحديد العناصر اللغوية حسب وظائفها الصرفية والنحوية والدلالية .

ويعرف المورفيم عند بلومفيلد بأنه عبارة عن فونيم أو أكثر في بنية معينة (٢).

(١) Ivic milka , Trends in linguistics P. 158

(٢) Bloomfield , language P. 167

وهذا ما يصدق على الفونيم S في الكلمة Words حيث يدل هذا الفونيم على الجمع ، وقد يصدق على أكثر من فونيم واحد كما في الكلمة العربية مسلمون، حيث يعد المورفيم ون دالا على جمع المذكر السالم في حالة الرفع وهكذا بالنسبة لحالة النصب ين وغيرها.

وبغض النظر عن النقد الذي وجه لهذه النظرية ، لأنها ترى أن اللغة تقوم على رد فعل يستدعي النمط اللغوي المختزن لدى الفرد بصورة مباشرة أو غير مباشرة ، فإننا لا يمكن أن نغمط بلومفيلد حقه كمؤسس للمنهج البنيوي التوزيعي في اللغة لتبنيه طريقة جديدة في تحليل النظام اللغوي من الجملة إلى الفونيم. وتظهر قدرات الاتجاه التوزيعي بصورة واضحة في التحليل المورفولوجي بصفة خاصة .

ب/٣ : النظرية التوزيعية

ليس معلوما على وجه الدقة الأسباب الحقيقية وراء تجاوز الدراسات اللغوية المعاصرة - على عجل واقتضاب - جهود اللغوي الأمريكي زيلج هاريس Z- Harris (١٩٠٩م) الذي عرف عنه جديته العلمية وأفكاره المتناسقة واتجاهاته الواضحة، وتعد أفكاره المعبر الرئيسي لظهور المدرسة التوليدية والتحويلية حسب تعبير ليونز . (١)

لقد ظل قسما كبيرا من أعمال أستاذ تشومسكي مجهولاً لاعتقاد خاطئ بعدم مضارعتة لنظرية تليمذه . فالفكرة التحويلية - بمفهوم معين - بدأ ظهورها في أعماله منذ عام ١٩٥٢ في بحث تحت عنوان تحليل الخطاب "discourse analysis" وبحث بعنوان القواعد التحويلية Transformer Grammar حدد فيه المفاهيم

(١) Leyons , Theoretical linguistics P. 15

والتعليمات اللازمة لتوليد جمل ما انطلاقاً من جمل لغة أخرى . ويمثل هذا الاتجاه نزعة نحو استخدام الرياضيات والرموز والمنطق في تحليل اللغة . (١)

وفي عام ١٩٥٤ صدر كتابه 'علم اللغة البنيوي' الذي تناول فيه المنهج التوزيعي، الذي بيّن أنه يبدأ من دراسة العينة اللغوية للتوصل إلى نظام اللغة من خلال أجزائها .

الفرق بين الوصفية والبنيوية :

المدرسة الوصفية: تنظر إلى البناء الكامل للجمل أو التركيب وتصفه جزءاً جزءاً بدقة دون القيام بتفكيكه.

أما المدرسة البنيوية : فتبدأ بدراسة الأجزاء المكونة للتركيب جزءاً جزءاً لتكون في آخر الأمر بناءها ، وهو بالتالي عمل تكويني .

ويعد زيلج هاريس 'أخلص تلاميذ بلومفيلد' لأفكاره ومبادئه، حيث تابع منهجه في تحليل المكونات المباشرة Immediate Constituents analysis بعرض المكونات اللغوية للجمل في عدة صور أهمها التحليل الشجري . (ش) .

المبادئ والأفكار (٢)

١ - تهدف النظرية التوزيعية إلى الكشف عن البني الفونولوجية والصرفية والتركيبية باستخدام معياري : المعنى ، والتوزيع .

(١) جورج مونين ، علم اللغة في القرن العشرين ١٧٧

(٢) انظر : د/ ميشال زكريا ، الألسنية وعلم اللغة الحديث ٢٥٨ ، جورج مونين ، علم اللغة في القرن العشرين ١٧٩ : ١٨٢

- ٢- في التعامل مع النصوص اللغوية ، ينبغي الفصل بين دراسة الأشكال اللغوية ودراسة العوامل الدلالية .
- ٣- تفيد التحليلات التوزيعية في تجنب الاستعمال الصوري للتعبيرات الفلسفية (مثل : النظام - الوظيفة) كما نرى عند تروبتسكوى .
- ٤- البنية اللغوية إبداع رياضي ، لأنها تعبر بعدد محدود من القضايا عن عدد كبير منها ، وليس من خلال بني توزيعية يحتمل وجودها في ذهن المتكلم .
- ٥- ثمة صعوبات يفرضها التحليل التوزيعي ، ويمكن تجاوزها كما في مسألة المعنى ، ونستطيع القول بوجه عام إن لكل فونيم معنى أوليا ، فالجزء th في سلسلة الكلمات : this, that, then, there يدل معنى إشاري^(١) كما يدل الجزء wh على معنى أستفهامي في الكلمات : where, when, why, which, what
- ٦- هناك ثلاثة محاور هامة ينبغي معالجتها في الدراسة التركيبية وهي :
- أ- المورفيم : ينقسم إلى قسمين : متصل ، ومنفصل . المتصل يسمى بالمقيد ، وهو الذي يساعد على معرفة هياكل التوزيع ، والتوزيع يقوم على دعامتين هما : الموقع والبيئة .^(٢)
- ب- المكونات المباشرة : يقصد بها الأجزاء التي يتم تحليلها في الجملة لملاحظة كيفية توزيعها .

(١) يقابله في العربية وجود الفونيم "هـ" في بداية أسماء الإشارة نحو : هذا ، هذه ، هذان ، هاتان ، هؤلاء .. الخ

(٢) يقصد بها تحديد العناصر المصاحبة للعنصر موضوع البحث (أ) في البيئة س ص هو (س) (ص)

جـ- التحويلات : تهدف التحويلات إلى الكشف عن الثوابت والمتغيرات في النظام النحوي، وتحديد إمكانية قبول الجملة أو رفضها وفق النظام ، وأهم مظاهره : الحذف وتغيير الموقعية ، ويرمز إلى تغيير الموقعية برمزين :

أولا : \rightleftarrows جملة مقبولة ، ثانيا : \leftarrow جملة غير مقبولة . (١)

والخلاصة : إن آليات التوزيع هي إحدى الإمكانيات المتاحة للغة ، وتصلح لحل بعض مشكلاتها ، والمعيار التوزيعي هو معيار وصفي بالدرجة الأولى.

٣/ ج - النظرية التوليدية - التحويلية

لم تشغل الأوساط العلمية بنظرية أو منظر في علم اللغة - قديما أو حديثا - كما شغلت بتشومسكي ونظريته، التي أحدثت تحولات عظيمة في الفكر اللغوي العام آلياته وأدوات تحليله . ولا ترجع مكانته الرفيعة إلى ما حققته النظرية في ميدان علم اللغة فحسب، بل تعود بالدرجة الأولى إلى تجاوز تأثيرها حدود علم اللغة إلى آفاق العلوم الإنسانية والتطبيقية : (٢) علم الاجتماع، علم النفس،

(١) صالح الكشو ، مدخل في اللسانيات ١١٨ : ١٢٥

(٢) في علم الاجتماع راجع : Fasold, R. the sociolinguistics of language: Introduction to sociolinguistics , oxford : Blochwell . 1990 Labov , W , Sociolinguistics patterns . Oxford : Blackwell . 1972 في علم النفس راجع : جودث جرين ، علم اللغة النفس (تشومسكي وعلم النفس) ترجمة وتعليق د/ مصطفى التونسي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣م. في الأنثروبولوجي راجع : بيلز وهويجر ، مقدمة في الأنثروبولوجي العامة ، ترجمة د/ محمد الجوهري د/ السيد محمد الحسيني دار نهضة مصر ١٩٧٦ . في علم الأسلوب أعمال: أوهمان R. ohman ، هتدريكس O. Hendricks وثورن Thorne وغيرهم في : د/ شكري عياد ، الأسلوبية الحديثة - مجلة فصول مج ١ - العدد الثاني ١٩٨١ ص ١٢٣ - ١٢٢ في علم أمراض الكلام : د/ مصطفى فهمي ، أمراض الكلام ، مكتبة النهضة المصرية في الترجمة الآلية : د/ نبيل على ، العرب وعصر المعلومات ، عالم المعرفة (١٨٤) الكويت ٣٦٢

الأنثروبولوجيا ، علم الأسلوب ، علم أمراض الكلام ، الترجمة الآلية ، علوم الاتصال .

إن المدارس اللغوية في القرن العشرين - مهما اختلفت مسمياتها منذ ظهور دي سوسير حتى تشومسكي - يمكن تصنيفها ضمن علم اللغة البنيوي - لماذا ؟

لأن هذه النظريات تتعامل مع اللغة باعتبارها نظاماً من العلاقات العضوية المتفقة أحياناً والمختلفة أحياناً أخرى ، بداية من الكلام إلى الجملة إلى الكلمة ، حتى تصل لأصغر وحدة صوتية تتضمن سمات مميزة كالجهر والهمس والإطباق ... والشدة والرخاوة وغيرها .

التوليدية والتحويلية هما في الواقع نظريتان متكاملتان.

فالنظرية التوليدية : هي عبارة عن مجموعة من القواعد التي تعمل من خلال عدد من المفردات على توليد عدد غير محدود من الجمل.

وقد وضح مفهوم التوليد من خلال أمثلة رياضية خلاصتها : إن اختلاف قيم المتغيرات يؤدي إلى اختلاف النتائج كما في المعادلة :

$$2س + 3ص - ز$$

حيث تعد : س ، ص ، ز متغيرات Variables .

أما النظرية التحويلية فتعنى بتطبيق قواعد الحذف والاستبدال وتغيير الموقعية على الجملة للحصول على عدد غير متناه من الجمل الصحيحة .

وقبل عرض نماذج النحو التوليدي ، نعطي نبذة عن "تشومسكي" مبادئه وأفكاره :

إفرايم ناعوم تشومسكي

لعوى أمريكي من أصل روسي ولد في فلادلفيا (١٩٢٨) ونشأ في بيئة لغوية ، فقد تخصص والده في عبرية الأندلس (١) ، وصحح في صباه لوالده أصول أحد الكتب عن العبرية مما كشف عن ميوله اللغوية المبكرة . وعندما التحق بالجامعة (بنسلفانيا) درس علم اللغة والرياضيات والفلسفة ، وتلمذ على زيلج هاريس - أستاذ علم اللغات السامية ، ثم انتقل إلى جامعة هارفارد وتأثر بفكر 'ياكسون' الذي كان يدرس فونولوجيا تهتم بعلم المعنى من ناحية نظرية ، وهو اتجاه مناقض للفونولوجيا التوزيعية . (٢) أي أنه نشأ علميا في إطار المدرسة السلوكية (البلومفيلدية) ثم انقلب عليها بفكر مناهض لها ، وذي اتجاهات متعددة .

وفي عام ١٩٥١م قدم رسالته للماجستير بعنوان البنية الصوتية للعبرية الحديثة ونظامها الصرفي . Morphophonemic of Modern Hebrew ثم قدم عملين تأسست عليهما كل أعماله اللاحقة وهما: التحليل التحويلي Transformation Analysis ورسالته للدكتوراه البنية المنطقية للنظرية اللغوية "The logical structure of linguistic theory"

ويبدو أن منحى الصعود أخذ في الارتفاع بعد نشر كتابه التراكيب النحوية "Syntactic Structures" (٣) (١٩٥٧م) ، ثم تسارعت بعد ذلك تطورات النظرية

(١) لا يخفى أثر النحو العربي ومناهجه على نشأة النحو العبري في مراحلها المبكرة بالأندلس وعلى مؤلفات سعديا الفيومي ومروان بن جناح وابن بارون في كتب : الإجارون واللمع والأصول والموازنة

(٢) انظر : جورج مونين ، علم اللغة في القرن العشرين ١٩٤ ، ١٩٥ ، د / عسـيـده الراجحي ، النحو العربي والتدريس الحديث ١٢٢ ، ١٢٣

(٣) اختلفت ترجمة عنوان الكتاب في التراجم والمؤلفات العربية انظر: التراكيب النحوية في (ترجمة د / حلمي خليل - نظرية تشومسكي تأليف جون ليونز ٧٢)، البنى النحوية في (د / نجيب غزاوي، علم اللغة في القرن العشرين ١٩٨)، الأبنية التركيبية في (د / محمود فهمي حجازي/ البحث اللغوي ٤١، الأبنية النحوية (ترجمة د / مصطفى التوني/ علم اللغة

من خلال التعديلات التي أدخلها تشومسكي ومؤيدوه على بعض مفاهيمها النظرية على مراحل.

وبالرغم من اختلاف تشومسكي كلية مع مبادئ هاريس والبلومفلدين بعد نشر كتابه (التراكيب النحوية) حول نظام الإجراءات الكشفية (١) ، إلا أنه ظل متمسكا بموقفه الذي يتلخص في ضرورة الاعتماد على الطريقة الشكلية في دراسة فونولوجيا أي لغة ونحوها دون الرجوع إلى الجوانب الدلالية . (٢)

واعتمد تشومسكي على الرموز الجبرية التي استعارها من هاريس كبديل للمشجرات والمخططات عند الوصفين .

ويتتبع مسيرة تشومسكي نرصد عاملين أساسيين - فضلاً عن العوامل السابقة - لا ينبغي إغفالهما لأنهما ساعدا على نضجه وتكوينه الفكري ، وهما :

١- عمله في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا "MIT" حيث تتلاقى أفكار الأعلام في التخصصات المختلفة : المنطق والرياضيات وعلم النفس وعلوم الحاسب الآلي .

٢- اتجاهاته المذهبية التي وصلت به أحيانا حد الخصومة والعداء لمن خالفه الرأي والعكس بالعكس .

وقد ساعد ظهور أجيال الحاسبات الآلية بالتوازي مع حياة تشومسكي على بقاء علاقته متجددة دائما بعلوم الرياضيات والحاسب الآلي، ففي عام ١٩٥٨

النفسي - تأليف جودث جرين (٧١) .

(١) يقصد بالإجراءات الكشفية : الإجراءات التقويمية التي يتبعها عالم اللغة في دراسته لكشف عن مدى ملاءمتها للمادة موضوع الدراسة .

(٢) جون ليونز ، نظرية تشومسكي اللغوية ٧٢

كتب عن تنامي الأنماط النحوية ، وعلاقة علم اللغة بعلوم النفس والمنطق والذكاء الصناعي في إطار برمجة الحاسبات ، كما ربط بين بنية اللغة من جهة والرياضيات والحاسب الآلي من جهة أخرى ، وأفاد علماء الحاسبات من فكرة توليد الجمل . (١) وأمدهم برؤية عملية لآليات النظام اللغوي .

لقد ظهر أثر تنوع مصادر تشومسكي الفكرية في جميع المبادئ والفروض التي وضعها ملتزماً بالدقة الصارمة التي وضعت على أساسها القواعد الرياضية.

مبادئ وأفكاره الرئيسية :

اعتمد تشومسكي في تأسيس نظريته على عدد من المبادئ والفرضيات لطرح الإشكاليات ومعالجتها ، ثم تعديلها وفق مقتضيات التطور وآلياته ، أهمها:

١- إن اللغة هي أفضل مرآة تعكس بصورة دقيقة وأمينة آليات التفكير في عقل الإنسان، وأن دور الجماعة هو تخصيص النظام اللغوي المكتسب، وهذه هي نقطة التلاقي بين علم النفس وعلم اللغة ، وبناء عليها ذهب بعض اللغويين الأمريكيين إلى أن علم اللغة هو أهم مجال يكشف عن إنسانية الإنسان ، وتعد مصدراً من مصادر البحث في علم النفس . (٢)

٢- مفهوم التحويل : (٣) يعد هذا المفهوم مفتاح نظرية تشومسكي مع أنه ظهر أولاً لدى هارس بمعنى مختلف ، كما أشرنا من قبل ، وتقوم الفكرة المركزية عند تشومسكي على أنه بتطبيق مجموعة من القواعد المحدودة - كالحذف والإضافة (الزيادة) والاستبدال وتغير الموقعية - على عدد محدود

(١) د / محمود فهمي حجازي ، البحث اللغوي ، ٤٣ ، ٤٤

(٢) المصدر السابق ، ٤٣

(٣) جورج مونين ، علم اللغة في القرن العشرين ٢٠٧ ، ٢٠٨ ر . هـ . روينز ، موجز تاريخ علم اللغة ٢٥٧

من الجمل الصحيحة الأساسية (النواة) يمكن الحصول على عدد غير متناه من الجمل الصحيحة، ومعنى آخر يمكن توليد عدد من جمل النقي والاستفهام (١) والمبنى للمجهول من جملة أساسية (أو - الجملة نواة - التي تمثلها الجمل الإخبارية المثبتة) بإجراء عدد من التحويلات عليها .

٣- القدرات الفطرية والنموذج الذهني (٢) "Mentalistic model" يتبنى تشومسكي فكرة وجود نموذج ذهني لدى الأطفال عند ولادتهم ، وهو عبارة عن آليات وقدرات لغوية غريزية تنمو من خلال تفاعل مع البيئة المحيطة أثناء مرحلة الطفولة، هذه القدرات تساعد على تقبل واكتساب المعلومات اللغوية وتخزينها وتكوين قواعد لغتهم الأم على مراحل متدرجة تصاعدياً حتى تصل إلى حالة الثبات، التي يستطيع فيها الطفل صياغة وفهم جمل لامتناهية لم يتكلم أو يسمع بها من قبل وبناء على هذا الاعتقاد حمل تشومسكي على الطريقة التي يتعلم بها الطفل اللغة؛ فأوضح أن تعلم اللغة عند الطفل لا يخضع لمقياسي الذكاء والحافز ، لأن جميع الأطفال يتعلمون لغتهم الأم سواء يحافز أم بغير حافز، ومهما اختلفت مستويات ذكائهم . (٣)

وترتبط هذه الفرضية بفرضية أخرى تبناها السلوكيون ، تتحول اللغة بمقتضاها إلى عادة سلوكية (أشبه بطريقة الاتصال عند الحيوان) ، وهذا ما عبر عنه ب . ف سكينر B. F. Skinner (٤) في كتابه (السلوك اللغوي Verbal Behavior)

(١) انظر تطبيق نماذج تحويلية في العربية على الاستفهام والنقي عند : د/ خليل عمايره ، في التحليل اللغوي ١٠٥ ، ١٥٥

(٢) جورج مونين ، علم اللغة في القرن العشرين ١٩٩ د/ ميشال زكريا ، الألسنية - علم اللغة الحديث ٢٦٢

(٣) جون مبيرل ، تشومسكي والثورة اللغوية ١٢٥

(٤) واحد من أبرز أسانذة علم النفس في جامعة هارفارد وأكثرهم إيماناً بالنظرية السلوكية

الذي عالج قضية اكتساب اللغة في إطار نظرية التعلم عن السلوكيين (١).

لقد قوبل كتاب سكينز برّد فعل عنيف من تشومسكي على المذهب السلوكي الذي ينجح إلى التبسط والمساواة بين الإنسان والآلة، ولا يفرق بين سلوك الإنسان وسلوك الحيوان - لأن الإنسان في رأي تشومسكي يتميز بالذكاء والتفكير واللغة أيضا - واستنتج أن اللغة ملكة فطرية تميزه عن الكائنات والأشياء الأخرى ، بدليل أن أكثر الناس غباء يستطيع الكلام ، بينما تفشل أكثر القرود ذكاء في تحقيق ذلك (الكلام) (٢)

٤- الإبداع Creativity (٣) : هو إحدى الإمكانيات اللغوية عند الإنسان ، وهي تعد فكرة جوهرية في نظرية تشومسكي ، يتميز بها الإنسان عن سائر الكائنات الحية ، حيث يستطيع أبناء اللغة الواحدة إنتاج وفهم عدد لا محدود من الجمل التي لم تسمع أو تقال من قبل ، وهي تختلف عن فكرة الإبداع في النماذج الأدبية ، وقد كانت هذه الفكرة من الأفكار المسلم بها لدى ويلهلم فون هامبولت ودي سومير ، ولكنها اختلفت تحت سطوة النظرية السلوكية ، ثم أعاد تشومسكي اكتشافها .

٥- البنية السطحية Surface structure والبنية العميقة Deep Structure (٤)

اعتمد تشومسكي على هذين المستويين لدراسة اللغة، بينما كانت المدرسة البنيوية تركز على المستوى السطحي وحده ، ويرى تشومسكي في كتابه

- (١) جون ليونز ، نظرية تشومسكي اللغوية ٢٠٨
 (٢) Crystal, Linguistics p.69 ، جورج مونين ، علم اللغة في القرن العشرين ١٩٩
 (٣) جون ليونز ، نظرية تشومسكي اللغوية ٥٧
 (٤) د / عيد الراجعي ، النحو العربي والدرس الحديث ١١١ ، د / ميشال زكريا ، الألسنية "علم اللغة الحديث. ٢٦٧

الثاني مظاهر النظرية النحوية (١٩٦٥) Aspects of the theory of syntax أن المستوى السطحي للجملة هو المستوى الذي يعنى بتحديد شكل الجملة وتنظيمها كظاهرة مادية ، أما البنية العميقة فهي البنية الدلالية أو التي تعنى بالدلالة ، وتحتوى على عدد من الجمل الأساسية القابلة للتحويل إلى جملة البنية السطحية (١) .

٦- التمييز بين الكفاءة اللغوية (competence) والأداء الكلامي (performance) .

حرص تشومسكى في كتابه التراكيب النحوية على الفصل بين الجمل التي تنتجها القواعد النحوية (اللغة) من ناحية وبين عينة الجمل (sample) التي ينطقها الأفراد في ظروف الاستعمال اليومي من ناحية ثانية ، ثم طور هذين المفهومين تحت مصطلحي الكفاءة والأداء (١) .

حيث يقصد بالكفاءة أو القدرة: نظام اللغة الكلى في ذهن أبنائها، ويتمثله الأفراد جزئياً أو ضمناً، وهي ملكة خاصة بأبناء اللغة الذين نشأوا وشبوا في بيئتها .

ويقصد بالأداء الكلامي: طريقة تنفيذ الفرد واستعماله للغة كهدف للتواصل في المواقف المختلفة، وبمعنى آخر فإن الكفاءة تجسيد كامل لنظام اللغة عند جميع الأفراد في الجماعة اللغوية.

- (١) جورج موبنين ، علم اللغة في القرن العشرين ٢٠٨
 مثال لكيفية التحويل من البنية العميقة إلى البنية السطحية :
 ١ - خلق الله غير المنظور العالم المنظور
 ٢ - العالم منظور
 ٢ - الله غير منظور
 ٤ - خلق الله العالم
 (٢) جون ليونز ، نظرية تشومسكى اللغوية ٧٨، ٧٧ ، جودث جرين ، علم اللغة النفسي ١٢١ ، ١٢٢

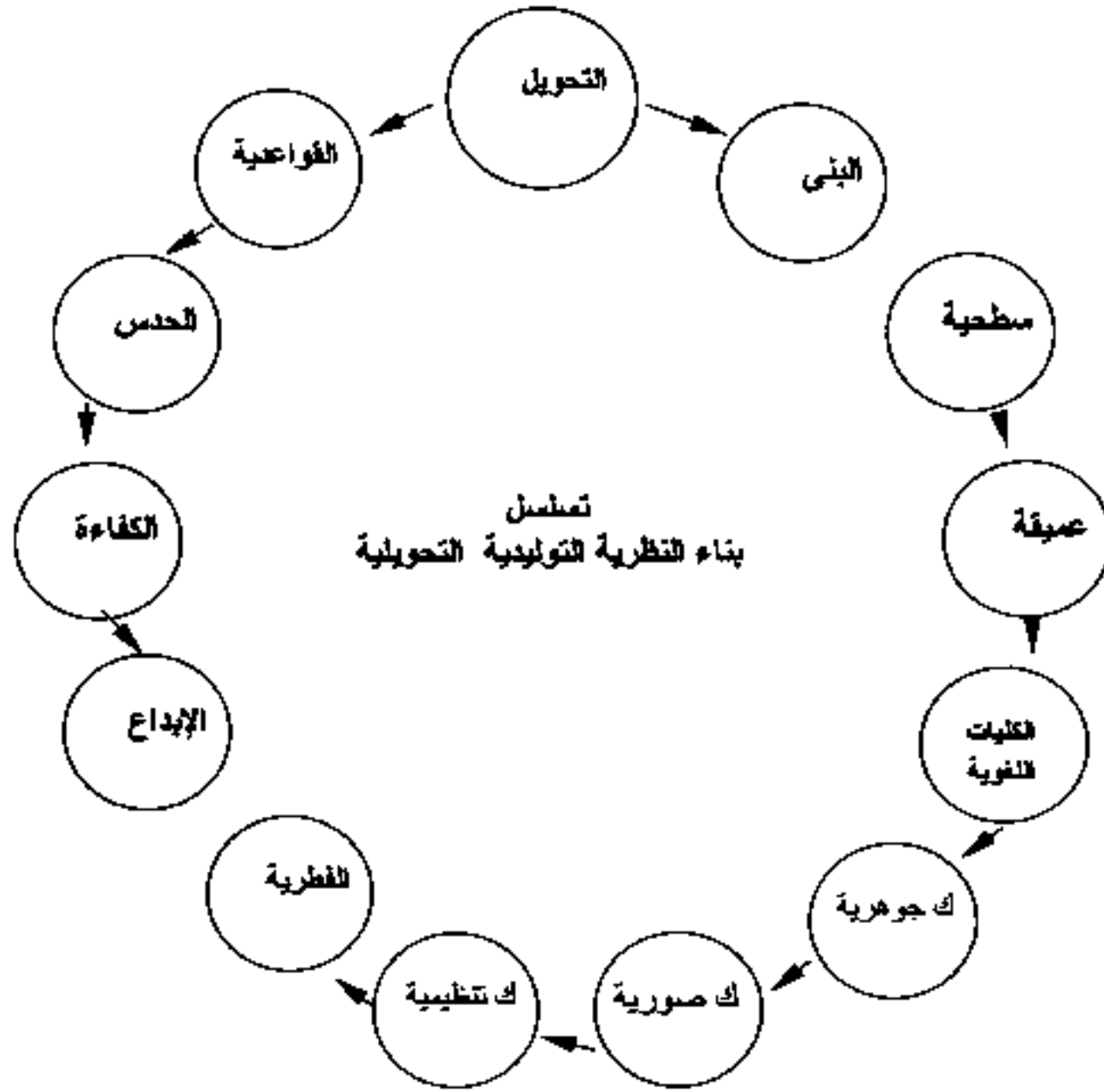
٧- الكليات اللغوية (١) :تمثل القواعد الكلية في هذا الفرض أطرا هيكلية لبناء القوانين التي تخضع لها قواعد اللغات عامة ،وهي تتضمن بصورة أساسية الشروط التي يجب توفرها لصياغة قواعد اللغات ، أي تُبنى القواعد الكلية على مجموعة من الضوابط المجردة والعامّة التي تخضع لها بالمشاركة مع القواعد الخاصة .

يتبين لنا مما سبق حرص تشومسكى الدائم على نقد الكتب والأفكار ذات التأثير للتوصل من خلال مواقفه الفكرية إلى نظريته في اللغة عبر تسلسل القضايا ،فقد أرشدته قضية (التحويل) إلى مفهوم البنية أو البني ،ومن ثم التمييز بين البنية الشكلية والبنية الدلالية (أي البنية السطحية والبنية العميقة) ، وأدى التفكير في قضية البنية العميقة إلى التوصل إلى مفهوم الكليات الجوهرية والصورية والتنظيمية ،وهذه الشموليات جعلت تشومسكى لا يجد لها تفسيراً سوى من خلال فرضية الفطرية والنموذج الذهني وفي الاتجاه المعاكس قاد التحويل إلى مفهوم (القواعدية) التي تعتمد بشكل ملزم على حدس المتكلم واتصل حدس المتكلم بمفهوم الكفاءة ثم الإبداع كما تتصوره في المخطط التالي :

(١) د/ميشال زكريا ، الألسنية ، علم اللغة الحديث ٢٦٢ ، ٢٦٤

قسمت الكليات اللغوية إلى ثلاثة أنواع :

- أ - كليات جوهرية هي مجموعة فئات مميزة كالاسم والفعل والأداة
- ب - كليات صورية تعنى الشروط والضوابط المشتركة بين اللغات
- ج - كليات تنظيمية تعنى بكيفية ارتباط القوانين وتداخل القواعد.



هذا التسلسل في بناء نظرية تشومسكي يعد - في رأبي - حلقة متصلة من المفاهيم اللغوية.

وإذا نظرنا إلى النحو التحويلي الذي تناولناه بالشرح فيما سبق، نجد أنه قد وضع في ثلاثة نماذج لوصف اللغة وهي :

- ١- حالة القواعد النحوية .
- ٢- قواعد تركيب أركان الجملة .
- ٣- قواعد النحو التحويلي

وقد عرض تشومسكى ثلاثة نماذج للنحو التوليدي في مؤلفه (التركيب النحوية)، نبسطها في : (١)

الأول : نموذج القواعد النحوية المحدودة Finite state grammar

يعتمد هذا النموذج على قاعدة تقول: إن الجمل تولد عن طريق سلسلة من الاختيارات تبدأ من اليسار إلى اليمين. (في الإنجليزية وما شابهها، والعكس من ذلك في العربية)، لأن اختيار العنصر الأول يساراً يفرض اختيار عنصر آخر يناسبه وهكذا لاحظ :

This man has brought some bread

ومثاله من العربية :

هذا الرجل اشترى بعض الخبز

فإن تصدير الجملة بـ This أو (هذا) يفرض اختيار اسم يجوز وقوعه بعد الإشارة مثل man أو الرجل ، وكذا العنصر الثالث في السلسلة "has" والفعل (اشترى) وإذا استبدلنا These بـ This فإن هذا التغير يفرض اختياراً آخر ، كما يحدث ذلك أيضاً إذا استبدلنا هؤلاء بـ هذا ، وهذا الجهاز يستطيع إنتاج جمل محدودة فقط .

(١) جون ليونز، نظرية تشومسكى اللغوية ١٠٢ وما بعدها، ١١٢ وما بعدها، ١٢٥ وما بعدها .

وبناء على ما سبق فإن النحو عبارة آلة ، أو جهاز يعمل على توليد الجمل من المفردات من البداية حتى النهاية .

الثاني: نموذج قواعد تركيب أركان الجملة . Pharse Structure grammar. يهدف هذا النموذج إلى تحليل الجملة حتى تصل إلى عناصرها الأولية باستخدام الترتيب الطولي، وهذا النوع من التحليل هو ما يسمى بتحليل المكونات المباشرة عند البلومفيلديين .

قواعد النموذج :

- ١- الجملة (S) ← مركب اسمي NP + المركب الفعلي VP
 - ٢- المركب الاسمي NP ← أداة التعريف T + اسم N
 - ٣- المركب الفعلي VP ← فعل V + مركب اسمي NP
 - ٤- أداة التعريف T ← الـ The
 - ٥- الاسم N ← (حصان ، شجرة Horse , Tree)
 - ٦- الفعل V ← (يأكل ، ينام eat , sleep)
- ويتميز هذا النموذج بقدرته على تحليل أي عدد من الجمل .

وتشتمل كل قاعدة من القواعد الست على :

س ← ص

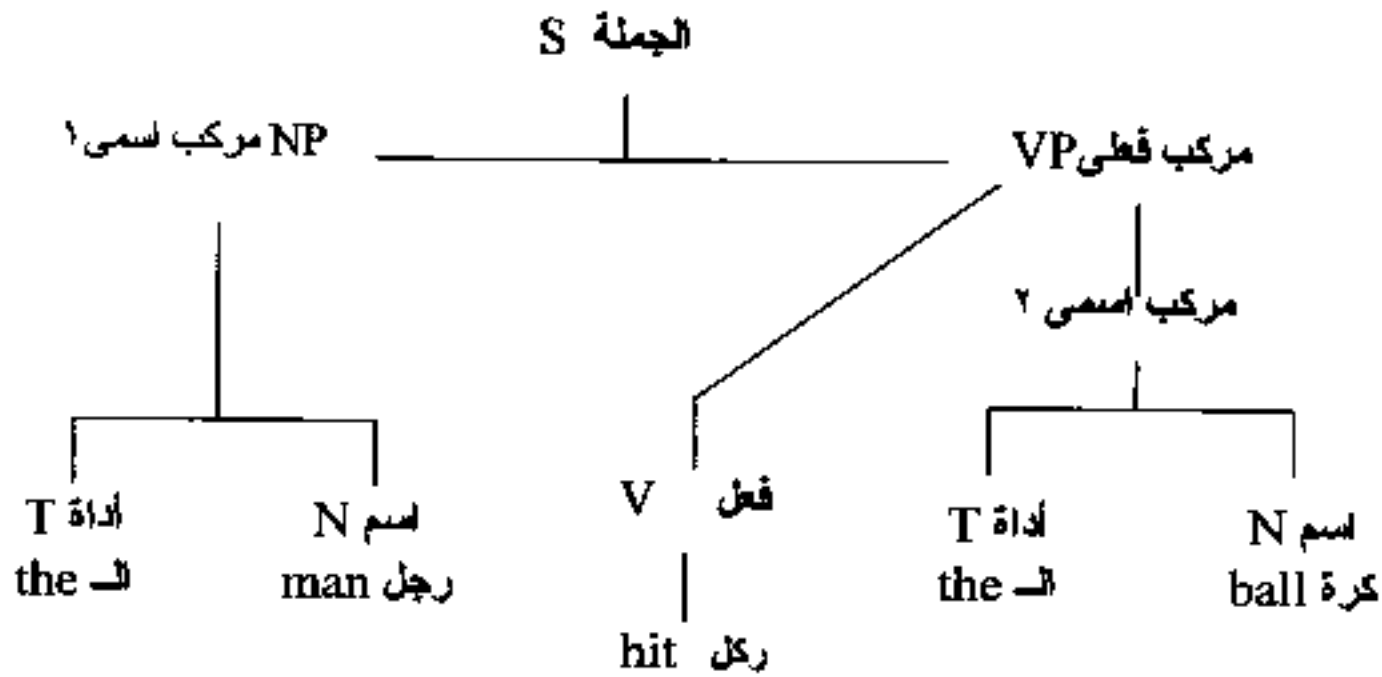
حيث ترمز (س) إلى عنصر مفرد Signal element ، وترمز (ص) إلى سلسلة مركبة String Cosseting من عناصر متعددة (وربما كانت عنصراً واحداً) .

← السهم يرمز لعملية إعادة الكتابة

.... النقاط ترمز لمزيد من العناصر .

. The man hit the ball نبدأ بتحليل الجملة: ركل الرجل الكرة أو The man hit the ball باعتبار الجملة عنصراً فإننا نطبق القاعدة رقم (١) .

التحليل حسب المخطط الشجري (Tree diagram)



وهذه العناصر التي توجد أسفل الصورة النهائية للتحليل تسمى سلسلة العناصر الدائمة.

الثالث : نموذج القواعد التحويلية:

يقوم هذا النموذج على ثلاث قواعد رئيسية ، وتحتوي كل منها على مجموعة من القواعد الفرعية ، وهي :

١- القواعد النحوية لتركيب أركان الجملة :

أجريت بعض التغييرات على قواعد النموذج الثاني للتغلب على بعض المشاكل التي واجهته عند التطبيق ، وهي بعد التعديل كالتالي :

١- الجملة Sentence ← مركب اسمي NP + مركب فعلي VP

٢- المركب الفعلي VP ← الفعل Verb + مركب اسمي NP

٣- المركب الاسمي NP

مركب اسمي مفرد NP (Sing)

مركب اسمي جمع NP (Pl.)

٤- مركب اسمي مفرد NP sing ← أداة تعريف T + اسم N

٥- مركب اسمي جمع P Pl. ← أداة تعريف T + اسم N + علامة جمع

S أو es

٦- أداة التعريف T ← الـ The

٧- الاسم N ← (امرأة - بيت House , Women)

٨- الفعل Verb ← فعل مساعد Aux + الفعل V

٩- الفعل V ← (أعطى سأل give , ask)

١٠- (Tense) + (M + have +) (en + be + ing) →

Aux

الفعل المساعد (البنية / الزمان / الإعراب)

١١- زمن الفعل Tense ← مضارع / ماضي Present , Past

١٢- Moods ← (Will , can , may , shall , must)

صيغ الفعل ← فعل مبني للمعلوم - فعل مبني للمجهول

لاحظ أن القاعدة رقم (١٠) لا تتفق مع تحليل العربية وكذا ما يتعلق بالأزمة.

وتشتق الجمل المبنية لما لم يسم فاعلة من السلاسل العميقة بواسطة القاعدة الاختيارية التالية :

١٣- مركب اسمي ١ NP1 + فعل مساعد Aux + فعل V +
مركب اسمي ٢ NP2 ← مركب اسمي ٢ NP2 + فعل مساعد Aux + فعل
الكينونة + مورفيم (en) + فعل V + مورفيم by + مركب اسمي ١
NP1.

The man may have opened the door

←

The door may have been opened by the man

وهذه القاعدة لا تناسب العربية ، لأن بناء الجملة لما لم يسم فاعله تتم عن طريق حذف الفاعل وتغيير صيغة الفعل .

ويتطلب هذا التباين في تنظيم عناصر الجملة المبنية لما لم يسم فاعله وضع نسق آخر يناسب العربية ، كما سنوضح في القواعد التحويلية .

٢- القواعد التحويلية (١)

هذه القواعد إما أن تكون قواعد إجبارية ، وإما أن تكون اختيارية ،

(١) نقلت هذه القواعد بتصريف من الباحث عن : - د / صلاح الدين حسنين ، الدلالة والتراكيب ٢٣ ، ٢٤

ويؤدى تطبيق القواعد التحويلية الإجبارية على السلسلة الأساسية إلى تماسك بنية الجملة ، وتنقسم هذه القواعد إلى قسمين :

٢ / ١ - القواعد المساعدة :

هذه القواعد معنية بطريقة اشتقاق صيغة الفعل وفق النظام التالي :

- فعل مبنى للمعلوم ماضى مبنى فتح - ضم - سكون
- فعل مبنى للمجهول مضارع معرب نصب - رفع - جزم

أولاً - صيغة الفعل ± مبنى للمعلوم ± ماضى ± مبنى فعل : سأل /

سُئِلَ

يُفَعَّلُ : يَسْأَلُ / يُسَأَلُ

ثانياً - صيغة الفعل ± مبنى للمجهول ± مضارع ± معرب يُفَعَّلُ : يمنح /

يُطَوَّى

فُعِلَ : مُنِحَ / طُوِيَ

ب/٢ - قواعد الحساسية للسياق

تشتمل هذه القواعد على نوعين :

أولهما : قواعد التطابق

ويقصد بها القواعد التي تعنى بالتطابق بين الفعل والفاعل مثل :

* الفعل الماضي ← + ت + مركب اسمي ١ مؤنث

ومعناها أن الفعل الماضي تلحقه تاء التانيث الساكنة إذا كان الفاعل مؤنثاً حقيقياً أو غير حقيقي نحو :

- ذكرتُ الطالبةُ / الطالباتُ جيداً مؤنث حقيقي مفرد / جمع

- أشرقت الشمسُ في الصبا مؤنث مجازي

* الفعل الماضي ← + (١) × + مركب اسمي - غير مفرد

ط أو مفرد مذكر

ومعنى القاعدة : إن الفعل الماضي لا يلحقه شيء إذا كان الفاعل مفرداً مذكراً أو كان الفاعل غير مفرد إذا تقوم عليه الفعل نحو :

- اجتهد الطالبُ في درسه . - لعب الشبابُ مباراةً كبيرةً

ثانيهما : قواعد إسناد الإعراب

القاعدة : ١ (في حالة الرفع)

أ- المركب الاسمي ١ ← للمفرد / جمع التكسير / جمع المؤنث السالم

نحو : جاء التاجرُ / حضر الزملاءُ / ذهبتُ المهندساتُ

ب - المركب الاسمي ١ ← ان للمثنى .

نحو : انتقل الشيخان

(١) ترمز هذه العلامة على القيمة صفر

ح- المركب الاسمي ١ ← ون جمع المذكر السالم .

نحو : سمع المهذبون الحديث بهدوء .

القاعدة : ٢ (في حالة النصب)

أ- المركب الاسمي ٢ ← _____ للمفرد / جمع التكسير

نحو : سلبَ اللص راتب الموظف

سحب التاجر أرصدته من البنك .

ب - المركب الاسمي ٢ ← _____ لجمع المؤنث السالم

نحو : قامت الفتاةُ بواجباتها نحو أسرتهَا

ح - المركب الاسمي ٢ ← ين جمع المذكر السالم

أعطى العمالُ التاجرَين أصواتهم

د- المركب الاسمي ٢ ← ين جمع المذكر السالم

نحو : كافأَ الناديَ اللاعبين لفوزهم .

القواعد الاختيارية :

إذا طبقت القواعد الإيجابية على الجملة ، وأصبح لدينا جملة أسامية ، في هذه

الحالة تطبق القواعد الاختيارية على الجملة المنتجة لاشتقاق الجمل التالية :

غرسَ الطفلُ الورْدَ

- قاعدة الاستفهام :

أداة الاستفهام + الفعل الماضي + المركب الاسمي ١ + المركب الاسمي ٢
أغرس الطفلُ الزرعَ ، (أو) هل
١ ٢ ٣ ٤

- قاعدة النفي :

أداة النفي + الفعل المضارع + م اسمي ١ + م اسمي ٢
لم يغرسَ الطفلُ الورْدَ
١ ٢ ٣ ٤

- قاعدة النفي والاستفهام :

تصدر أداة الاستفهام جملة النفي نحو : (ألم يغرسَ الطفلُ الورْدَ ؟)

- قاعدة البناء للمجهول (سبقت) :

غُرِسَ الورْدُ

- قاعدة البناء للمجهول والاستفهام :

تصدر أداة الاستفهام جملة المبني للمجهول نحو : (هل غُرِسَ الورْدُ ؟)

- قاعدة البناء للمجهول والنفي :

أداة النفي + الفعل المضارع (مبنى لما لم يسم فاعله) + مركب اسمي ١ + مركب اسمي ٢
نحو : لم يُغرسَ الورْدُ
١ ٢ ٣

١. قاعدة البناء للمجهول مع الاستفهام والنفي :

تصدر أداة الاستفهام الجملة المنفية للمبنى للمجهول

ألم يُفِرس الوردُ ؟

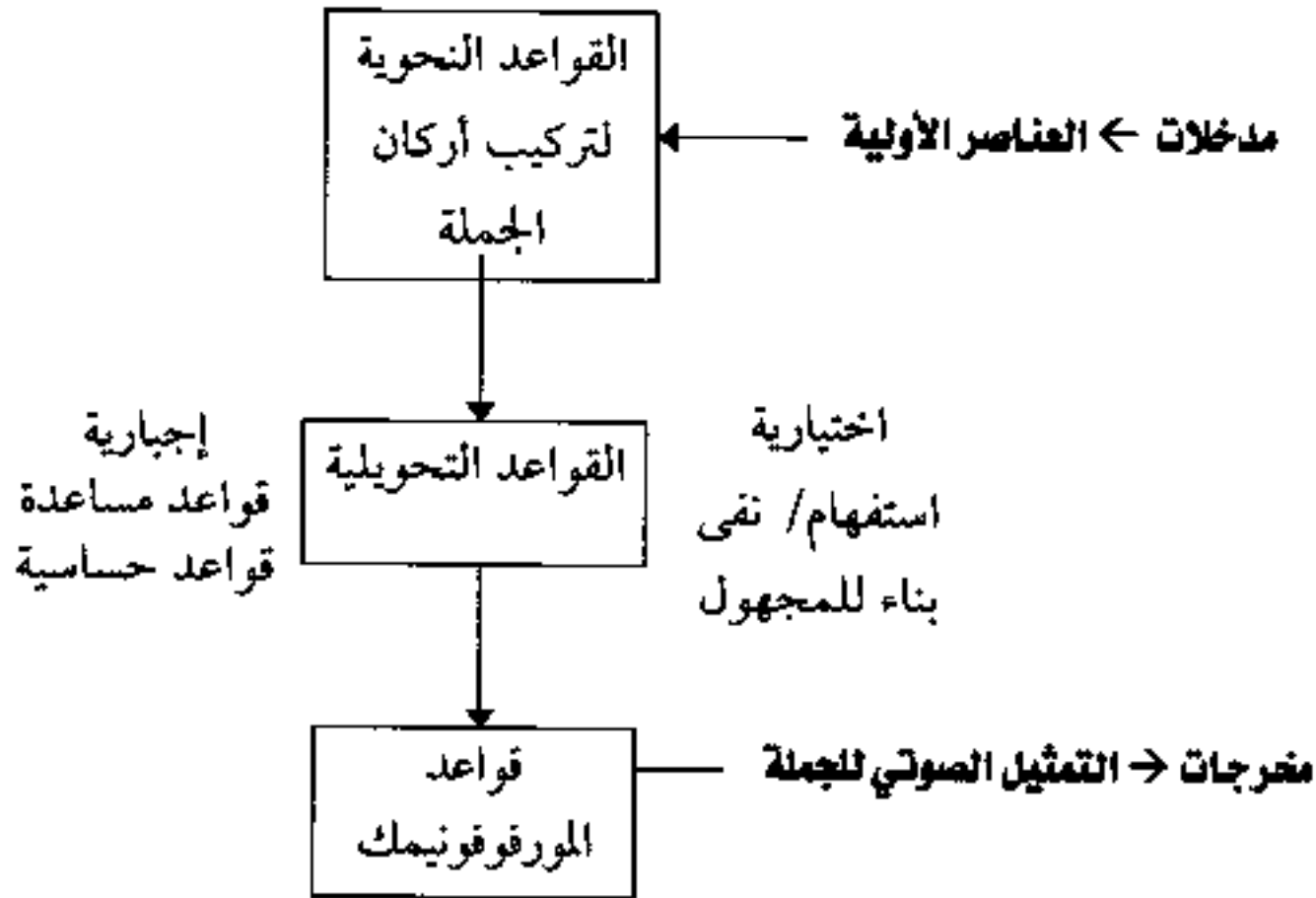
لاحظنا مما سبق كيفية تطبيق قواعد الاستفهام والنفي على الجمل المثبتة المبنية للمعلوم ، وتطبيقها أيضا على الجمل المبنية للمجهول (أو المبنى لما لم يسم فاعله) ، أما الجمل المركبة Compound Sentences ، والجمل المعقدة Complex Sentences فإنها تولد بطرق العطف , Conjoining , والدمج embedding .^(١)

٢. قواعد المورفونيمك

تقوم هذه القواعد بتحويل الجملة من صورة الكلمات والمورفيمات إلى صورة كلمات ، وبالتالي تتضح المكونات المباشرة التي اشتقت منها هذه الجملة وتمثلها تمثيلا صوتيا.

و المخطط التالي يعبر عن الخطوات التي اتبعتها القواعد التحويلية في توليد الجملة واشتقاقها .

(١) جون ليونز ، نظرية تشومسكي اللغوية ١٥٢ : ١٥٤
وانظر : د/ خليل عما يره ، في التحليل اللغوي ١١٥ : ١١٥



وهذا لا يعني - بطبيعة الحال - أن النظرية التوليدية التحويلية قد حظيت بقبول أغلب / أو معظم الاتجاهات اللغوية المعاصرة فيما طرحته من قضايا ، ولكن على العكس من ذلك ، فإنها ووجهت - وما تزال - بنقد شديد لبعض مبادئها وأفكارها لدرجة وصفها عند أحد اللغويين بأنها كانت نقطة تحول سلبية في تطور علم اللغة (اللسانيات). (١)

وتختلف قدرة كل نموذج على توليد الجمل في اللغات الطبيعية وحيث يتمتع النموذجان الثاني والثالث بقدرات خاصة لتوليد جميع الجمل. وتعد دراسات تشومسكي وأنصاره ، التي عنت بالضوابط والحدود حول فكرة المكون التحويلي (١) من أهم الدراسات في الإطار العام للنظرية التحويلية لقدراتها على الصمود أمام الاختبارات النقدية وكفاءتها في تفسير الظواهر .

٢/د التطورات القائمة على النظرية النموذجية لـ (تشومسكي) .

بعد أن استوت نظرية تشومسكي في صورتها المثلى (تقريبا) في كتاب مظاهر النظرية النحوية تتابعت الشروح والتعليقات (٢) من ناحية، كما قوبلت بال نقد بعض أصولها النظرية من ناحية أخرى . بعض هذه الأعمال يمثل إضافة وتوسعا في النظرية، وبعضها الآخر يمثل تحديا حقيقيا للنظرية .

وأظن أنه بنظرة واحدة في كتاب جفري سامسون^٣ يكتشف المرء كم المبادئ والفرضيات التي وجه إليها النقد في النظرية التشموسكية ، ومنها على سبيل المثال لا الحصر: (٣) .

أ- نظرية الكليات اللغوية .

ب- مبدأ استخدام الحدس intuition في الإجراءات الكشفية .

ج- قضية علم الدلالة التي بنيت على موقف تشومسكي من الحدس .

(١) للتفصيل انظر تشومسكي ، جوانب من نظرية النحو ١٢٩ ، ١٢٠ جون سيرل ،

تشومسكي والثورة اللغوية ١٣٧ ، ١٤٠

(٢) لمعرفة مزيد من الشروح والتعليقات على نظرية تشومسكي انظر: Die Theorie chomskys

في . S. 61 : 63 Karl Reichl, Englische Sprachwissenschaft

(٣) جفري سامسون ، مدارس اللسانيات ١٥١ : ١٦٢

وإذا جاز لنا تتبع النظريات والآراء التي ساعدت تشومسكي على إجراء بعض التعديلات والشروح على نظريته في أصولها الأولية، وبعد ظهور النظرية النموذجية، فإننا نبدأ بنظريتي كاتز وبوستال Katz Postal ، وكاتز وفودور K.Fodor اللتان يلبورهما تشومسكي في قوانين المكون الدلالي ، حيث ضمت الدلالة والقونولوجيا ضمن مكونات النظرية . (١)

ورغم محدودية الأمثلة المعروضة، إلا أن الهدف الرئيسي لفريق تشومسكي ظل ماثلاً لا يغيب، وهو وصف اللغة التي تتضمنها إبداعية المتكلم الأصلي بلغته (أي ابن اللغة) . واهتمت النظرية الثانية بصفة خاصة بتصميم أساس يميز بين الجمل المترادفة والشاذة والملبسة (الغامضة) .

ومن النظريات التي تعد نموذجاً مطوراً عن النظرية النموذجية أو النظرية الموسعة نظرية (القواعد النحوية المتكافئة) التي تقوم على فكرة التكافؤ (valency) وهو مصطلح مقترض من الكيمياء (٢)، يشير إلى قدرة تميز عنصراً من عناصر التركيب عن غيرها ، ولهذه الفكرة علاقة بالمفهوم التقليدي للمتعدى واللازم، وهي نظرية قامت على أسس متشابهة مع نظرية التبعية (٣).

وتعد نظرية العلاقات النحوية relational grammar من أحدث النظريات التي طرحها أنصار تشومسكي، واكتسبت أهميتها الكبرى من عنايتها

(١) د/عبد القادر القاسمي الفهري ، اللسانيات واللغة العربية (١/٦٧ ، ٦٩ ، رهـ روبنز ، موجز

تاريخ علم اللغة ٢٥٨

(٢) يقارن بمفهوم التكافؤ الذري انظر: د/سعيد بحيري ، عناصر النظرية النحوية ٨

(٣) جون ليونز ، نظرية تشومسكي اللغوية ١٧٧ ، د/سعيد بحيري ، عناصر النظرية النحوية أوما بعدها.

بالعلاقات النحوية التي يشترك فيها المسند إليه (الفاعل) أو المفعول به المباشر أو غير المباشر ، ونظام ترتيبها وتسلسلها.

وتتميز هذه النظرية بقدرتها علي تكوين علاقات تحويلية بين الجمل المبنية للمعلوم والجمل المبنية لما لم يسم فاعله ،على أساس أن التحويل يقلل من قوة الفعل (درجة تكافئة) وتتحول الحاجة إلى الفاعل من الحاجة الإجبارية إلى حاجة اختيارية. (١)

واستمرت جهود اللغويين من منطلقات نقدية مختلفة لبناء نظريات تتجاوز مثالب النظرية النموذجية لـ تشومسكي وفي هذا الصدد يقول جون سيرل إن التصور الصوري ينهار إذا حاولنا تفسير الكفاية الدلالية أو المعنى، لأنه سيعجز عن تفسير الكفاية الدلالية.

والحقيقة إن خصوم تشومسكي بدأوا يعملون بالفعل في تطعيم دراسة التركيب بدراسة أفعال الكلام ،وسمى أتباع هذا الاتجاه بعلماء الدلالة التوليديين (٢) وهم الذين يمثلون التحدي الحقيقي لنظرية تشومسكي في جانب من أهم جوانبها مما جعله يعيد النظر في العلاقات الدلالية كما ستوضح فيما بعد .

الفكرة المركزية لعلماء الدلالة التوليدية generative semantics (٣) . تؤكد على أن البنية العميقة للجمل هي الصورة الدلالية لها، وهي التي تتحول إلى البنية السطحية بينما تفصل النظرية النموذجية بين البنية العميقة والتفسير الدلالي لها.

- (١) المصدر السابق . ١٧٨ .
- (٢) جون سيرل ، تشومسكي والثورة اللغوية . ١٣٩ .
- (٣) جروبر ، وفيلمور ، وجاكسونوف .

وتعد نظرية حالة الحالة (١) The case for case التي قدمها فيلمور C. J. Fillmore من النظريات التي أحدثت صدى واسعا لأفكارها، حيث اعتمد فيها على فكرة الحالة، ويقصد بها: علاقة بين فعل واسم: كما أن هذه العلاقات تكون إما دلالية وإما تركيبية. والبنية العميقة في هذه النظرية التحويلية تنقسم إلى:

أ- بنية دلالية مكونة من محمول وموضوع أو أكثر.

ب- بنية معجمية تتكون من عناصر (فعل، اسم،).

والحالات النحوية التي يكشف عنها التحليل النحوي الحقيقي للجملة هي: الفعل، المنفذ، الأداة، المتأثر، الهدف، المستفيد،...، وعلاقة المحمول (الفعل) بالموضوع تشير إلى دور دلالي معين.

الخلاصة :

إن هذه النظرية تنماز بإمكانياتها التطبيقية على اللغات المعربة كالعربية واللاتينية والألمانية، ويلعب الفعل فيها دورا حيويا في بناء الجملة.

وفي نفس الاتجاه قدم "جاكندوف" تفسيرا آخر للتركيب الدلالي يقوم على أساس وجود قراءتين دلالتين، إحداهما: مباشرة، والثانية مشتقة تنتج عن خرق في قواعد الاختيار التركيبية أو الدلالية أو المعجمية (٢).

وقد أثرت آراء علماء الدلالة التوليدية في تشومسكي مما دفعة إلى تعديل بعض مبادئه الفكرية في نظريته النموذجية تحت مسمى النظرية النموذجية الموسعة حيث أصبحت البنية العميقة تتكون من بنيتين هما :

(١) جون ليونز، نظرية تشومسكي اللغوية ١٦٩

(٢) Norrick N. R, Semiotic principles in Semantic theory P. 9, 101, 102.

أ- الأساس بد البنية الدلالية (١)

يتضمن الأساس مكونين : تركيبى ومعجمي، وفى البنية الدلالية تتحدد الأدوار بناء على علاقة المحمول بالموضوعات وأهم المفاهيم الجديدة التي طرحها تشومسكى في هذه النظرية هو مفهوم الأثر الذي يعرف بأنه عنصر معدوم من الناحية الصوتية غير أنه يدل على عنصر حذف أو نقل عن طريق التحويل .

ويرى كيونز أن التعديلات التي استجذت على النظرية الموسعة كانت بغرض تقليص عدد التحويلات وأدوارها في التفسير الدلالي (٢) .

اتساقا مع هذا الهدف ، لم تحتفظ نظرية تشومسكى في أحدث صورها إلا بقاعدة تحويلية واحدة مقيدة بدرجة عالية هي : "حرك أي حرك ما يمكن تحريكه في إطار القيود التي تفرضها بقية عناصر النظام (٣) .

٢/٤- التطورات القائمة على النظريات الأخرى (في الغرب)

رغم أن أبرز مدرستين في علم اللغة الحديث في النصف الأخير من القرن العشرين هما البلومفلديون والتشومسكيون قد استمرا في تطوير ودعم أفكار مؤسسيهما، إلا أن هذا لم يفت في عضد المدارس الأخرى وحفزها على تجديد مناهجها وأدواتها كما سنرى .

- (١) ناعوم تشومسكى، جوانب من نظرية النحو ٨٩ ، ١١٠ وبعدها
- (٢) جون ليونز، نظرية تشومسكى اللغوية ١٩٨ ، د/ عبد القادر الفاسي القهري ، اللسانيات واللغة العربية ٧٢/١
- (٣) ر. ه. روينز ، موجز تاريخ علم اللغة ٣٦١

١- امتداد البنيوية :

في السنوات الأخيرة مال هارس إلى استخدام مصطلحات بنائية للإشارة إلى التحليل اللغوي الذي يتبع فيه الفكر البلومفيلدي وطور ك. ل. بايك K. L. Pike وفريق من الباحثين اتجاهها متفرعا على تحليل المكونات المباشرة في قواعد بلومفيلد ، وسميت هذه النظرية بالنظرية التجميعية لأن التجميع Tagmeme ، هو وحدتها القواعدية الأساسية ويعرف التجميع بوصفة ارتباطا بين وظيفة قواعدية وطائفة من العناصر التي تحمل محل بعضها تبادليا. فالمسند إليه (كتجميع) الذي يشغله الاسم، والمسند الذي يشغله فعل، والمفعول به الذي يشغل بالعبارة الاسمية تكون تركيبات أكبر كالعبارات والجمل ، والجمل تحلل إلى سلاسل متساوية ، وكل التجميعات تتعلق بالفعل بشكل متساو في معظم التحليلات التجميعية، بينما يكون المفعول به جزءا من المجموعة الفعلية عند تحليل المكونات المباشرة (١) .

وعند تحديد التجميعات يؤخذ في الاعتبار كلاً من الوظيفة الدلالية والوظيفة النحوية ، وبما أن كل طائفة من العناصر الشكلية يكون لها معان محددة ، فإنه يمكن وضعها كمالات للوظائف الدلالية والنحوية .

ويعنى أنصار النظرية التجميعية بإجراءات الكشف البنائية، ويعزي إليهم دمج المصطلحات الدلالية في تكتيكاتهم الوصفية باعتبارها أوليات مثل المسند ، والمسند إليه ، والموقع ، والمستفيد .

ويمثل تطبيق هذه النظرية على لغات أمريكا الجنوبية والوسطى أقوى دليل على استمرار علم اللغة باليومفيلدي في عالم ما بعد بلومفيلد .

(١) المصدر السابق ٣٣٧ : ٣٤٧

ورغم هذه القرابة النظرية والمنهجية مع بلومفيلد ، إلا أنهم يختلفون عنه بدورهم المشبوه في توظيف اللغة لأغراض تبشيرية على العكس من بلومفيلد الذي كان لا أدريا فيما يتعلق بالعقيدة. (١)

٢- امتداد الفيرثية :

كان اهتمام فيرث منصبا على سياق الحال بوصفه حجر الزاوية في قضية تحديد المعنى، وعلى الفونولوجيا لكونها حلقة الوصل بين القواعد والصوتيات .

امتدادا لهذا الاتجاه واستمارة لمفاهيم فيرث اللغوية بنى هاليداي نظريته التي كانت تحمل اسم علم اللغة الفيرثي الجديد الذي يفسر نفسه بنفسه، وهو يقصد من وراء نظريته وصف نظرية فيرث في اللغة والتحليل اللغوي وفق مفهوم "هاليداي" واستكمال نظرية النحو والصرف التي لم تتضح في مؤلفات فيرث نفسه (٢).

فعلم اللغة حسب مفهوم "هاليداي" عبارة عن نظام متسق ، يفصل بصورة ما عن الأصوات من ناحية ، وسياق الحال من ناحية أخرى ، وإن كان هذا المفهوم قد تطور وتغير عنده في المراحل التالية .

علم اللغة		الصوتيات	
↔		↔	
المادة	الشكل	المادة الصوتية	الفونولوجيا
المادة المكتوبة	المعجم نظام مفتوح	المادة الصوتية	الفونولوجيا
المادة المكتوبة	المعجم نظام مفتوح	المادة الصوتية	الفونولوجيا

(١) المصدر السابق ٢٤٨

(٢) لمزيد من التفصيل : المصدر السابق ٣٥١ : ٣٥٠

وينظر اليوم إلى نظرية هاليداي بوصفها نظرية نظامية (أو تسمى بالقواعد النظامية) حيث تقوم قواعدها على أنظمة اختيارية عالية الدقة، بعضها وصفي وبعضها الآخر تاريخي ، ولكي تحقق اللغة أغراضها وتوصل أهداف مستخدميها وتحدد المستوى الثقافي لهم ، فإنها تتخذ أشكالاً شبكية تربطها الاختيارات .

٢- امتداد البراهنية :

فيما يعد رد فعل ضد النظرية الخطية التوزيعية لبلومفيلد، قدم س.م. لامب S. M. Lamp نظرية عامة في التحليل اللغوي تتصل بعض أصولها بنظرية مدرسة براغ سميت نظرية القواعد الطبقاتية stratificational ، وهي التي تستعمل فيها القواعد بمعناها الأوسع لمعالجة التحليل الشكلي برمته ، كما هو الحال في النموذج التحويلي .

وتمثل المستويات المختلفة في النظرية مجموعة من الطبقات المفترضة من التركيب اللغوي على شكل شبكة من العلاقات ، فمستوى الدلالة تميزه وحدات المعنى التي تتصل بدورها مع الوحدات المعجمية المميزة ، ومع مستوى الفونيمات والمورفيمات ، ويتحقق هذا الاتصال على شكل تسلسل هرمي (١).

وتظهر وحدات المعنى المميزة على صورة طبقة دلالية في التركيب اللغوي على النحو التالي:

حصان - يعدو - مذكر - مكان - مضارع

وعلى مستوى المعجم تكون الوحدات المعجمية المميزة مثل :

ال - حصان - يعدو - نحو - ال - مضمار

(١) المصدر السابق ٢٥٥ ، ٢٥٦

وعلى المستوى المورفيمي والفونيمي ، تكون المورفييمات سلسلة متتابعة كما تكون الوحدات الفونيمية سلسلة .

هذه الطبقات تتصل معاً بصورة هرمية متماسكة ، حيث يمثل المستوى المعجمي مستوى الوحدات الدلالية ، ويمثل المستوى المورفيمي المستوى المعجمي.... وهكذا يمثل المستوى الفونيمي المستوى الأعلى أي المستوى المورفيمي .

وما زالت النظريات والطروحات تتفاعل معاً للكشف عن القوانين المنظمة للأشياء الخاصة والنحو الكلي ، كما تحظى نظرية الدلالة بعناية فائقة ، وكذا كل ما يتعلق من هذه القوانين بالبعد المعرفي في نظرية اللغة .

ومن أهم الأعمال في هذا الاتجاه المعرفة اللغوية طبيعتها وأصولها واستخدامها لناعوم تشومسكي^(١) .

وقدم جاكندوف مفهوم القيد المعرفي في نظرية الدلالة التصورية (١٩٨٣) الذي يفسر الإدراك وعلاقته بالسلوك اللغوي .

وفي عام (١٩٨٤) وضع فيلمور نظرية الأطر الدلالية التي تستخدم وسائلها في تحديد طبيعة المعلومات في المداخل المعجمية وسبب وجودها وكيفية .^(٢)

وفيما يتعلق بتطور نظريات التركيب ، فإن النظرية النموذجية والنموذجية الموسعة والصياغات المستحدثة عليها ، تشغل المرتبة الأولى من حيث كم الكتب

(١) تناول تشومسكي في هذا الكتاب عدداً من القضايا أهمها : النحو العكسي وتحوله من صورة أنظمة من القواعد إلى نموذج مؤلف من مبادئ وبارامترات تحددتها التجربة (٢٧٥ - ٢٧٦) وعرض فيه نظريات الحالة والربط والثبنا والسين البارية . لمزيد من التفصيل انظر : ناعوم تشومسكي ، المعرفة اللغوية ١٩٨ : ٢٧٠
(٢) لمزيد من التفصيل : جورج لايسكوف وآخر ، الاستعارات التي نحيا بها ٤ : ٦

والإصدارات التي تعالج النظريات التشومسكية ، وفي الدرجة الثانية من حيث الأهمية تأتي نظرية التوليد الدلالي ، ثم النحو العلاقي والنحو الوظيفي ونحو الكلمة (المفردة) . (١)

ويمكننا بشكل عام تقسيم النظريات اللغوية المعاصرة التي تعالج وظائف اللغات الطبيعية إلى مجموعتين هما :

أ-نظريات صورية ب-نظريات وظيفية .

تضم مجموعة النظريات الصورية كل النظريات اللغوية التي تعد فيها اللغة الطبيعية نسقا مجردا ، بينما تضم مجموعة النظريات الوظيفية جميع النظريات التي تسمى 'pragmantax' البراجمانتاكس التي تعد آخر تطورات نظرية الدلالة التوليدية ، والنظرية الوظيفية ، والنحو الوظيفي الذي يتبناه 'سيمون ديك' S.dik

ويرى أحد المحدثين (٢) أن النحو الوظيفي Functional grammar الذي ظهر مؤخرا أكثر ملاءمة في معالجة الظواهر اللغوية، وينماز عن الأنحاء الأخرى بتعدد مصادره وتنوعها ، فقد أدمجت فيه بعض مبادئ النحو العلاقي ، ونحو الحالة ، والنظرية الوظيفية لتكوين نموذج صوري واحد ، صيغ حسب مقتضيات النمذجة في بناء النظريات اللغوية الحديثة .

٤ - أثر اتصال علماء العربية بالفكر الغربي

كان للتطورات المتلاحقة في النظريات اللغوية الغربية - في القرن

(١) مزيد من التفصيل انظر : - 66 : 60 Karl Reichl, Englische Sprachwissenschaft

(٢) أحمد المتوكل ، الوظائف التداولية في اللغة العربية ٩

العشرين - آثارا لا يمكن تجاهلها في الدرس اللغوي المعاصر للعربية ، بعضها يمثل جوانب سلبية ، وبعضها الآخر يمثل عناصر إيجابية في دراسة اللغة .

أخذت علاقة العرب بعلوم اللغة الأوربية تؤتى ثمارها بعد عودة رُفاعة الطهطاوي^١ من فرنسا ، وتأليف كتاب بعنوان التحفة المكتبية لتقريب اللغة العربية الذي اتبع فيه نمط الفرنسية في تأليف النحو ، وامتاز كتابه بالعرض السهل والعبارات البسيطة ، واستخدم لأول مرة نظام الجداول الإيضاحية .^(١)

ومع أنه يعد من رواد حركة إصلاح الكتاب النحوي ، إلا أنه ظل أسيرا لنظرية النحو التقليدي .

وصاحبت المحاولة التالية ظهور كتاب إحياء النحو^(٢) (١٩٣٧م) للأستاذ إبراهيم مصطفى ، الذي تأثر بأبن مضاء فتابع دعوته التي اعتمدت على مبادئ أساسيين هما :

أ- النحو هو قانون تأليف الكلام ، ولا يقتصر أبدا على ظاهرة الإعراب التي تظهر على أواخر الكلم .

ب- رفض الفلسفة الكلامية التي تتمثل في نظرية العامل وتوابعها .

ومن ثم فقد توصل إلى تصنيف أبواب النحو وفق المبادئ السابقة ، وتوصل إلى أن حركات الإعراب ليست أحكاما أو أثرا ، وإنما هي دوال على معانيها ، وأن الفتحة ما هي إلا حركة خفيفة مستحبة عند العرب ، وليست علامة إعراب ، كما أن المبتدأ ، والفاعل ، ونائب الفاعل يجب أن تضم في باب واحد ، لأنها تمثل المسند إليه .

(١) د/محمود فهمي حجازي ، علم اللغة العربية ، ٩٤

(٢) إبراهيم مصطفى ، إحياء النحو ، ٤٩ ، ٥٣ ، ٧١

إذا كان لرفاعة الطهطاوي دور الريادة في الاتصال بعلوم اللغة الغربية والاستمداد منها ، فإن إنشاء الجامعة الأهلية (١٩٠٨م) -وما استوجبه من استقدام المستشرقين للتدريس بها - يمثل رافدا أساسيا للاتصال بعلوم اللغة السائدة آنذاك، فقد كان منهج علم اللغة التاريخي المقارن للغات السامية هو الشغل الشاغل للمستشرقين (الألمان بصفة خاصة) في الشطر الأول من القرن العشرين وكان في طليعتهم أنو ليتمان وآخرون ، ويمثل هذا الاتجاه كتاب برجشتراسر : التطور النحوي للغة العربية الذي ألقى في صورة محاضرات كان لها تأثير كبير على دارسي العربية واللغات السامية ، كما بدأ جزئيا في آراء إبراهيم مصطفى .

وتتسم محاولة الدكتور مهدي المخزومي (١) باتباع المنهج العلمي الحديث في دراسة اللغة وتيسيرها. وأهم المبادئ والأفكار التي اعتمد عليها هي :

- أ- النحو في الأصل دراسة وصفية تطبيقية .
- ب- النحو علم متطور أبداً لأن اللغة متطورة أيضا.
- ج- اللغة ظاهرة اجتماعية يسرى عليها مايسري على المجتمع .
- د- ضرورة الاعتماد على استقراء الظواهر النحوية .
- هـ- النحو عارضة لغوية تخضع لما تخضع له اللغة من تطور .

الخلاصة : إن الدكتور المخزومي قد أدرك مستويات التحليل اللغوية الثلاثة (الصوتية- والصرفية- والنحوية) ، ولم يحدد المستوى الدلالي .

(١) د/ مهدي المخزومي ، في النحو العربي ، ١٩ : ٢٤ .

وجاءت آخر محاولات التيسير والإصلاح على يد الدكتور شوقي ضيف في كتابه تجديد النحو العربي، الذي اعتمد فيه على مبدئين هما: (١)

أ - الاستغناء عن نظرية العامل.

ب - إلغاء التأويل والتقدير.

ولم تتجاوز محاولة التجديد تلك إعادة تصنيف وتنسيق أبواب النحو وفق المبادئ التي طرحها، فقد كانت في إطار النظرية التقليدية للنحو.

بالتوازي مع حركة الإصلاح والتيسير، برز تيار آخر ينظر إلى العربية في ضوء علاقتها بالحضارة الغربية الحديثة ينقسم هذا التيار إلى فريقين هما: (٢)

١ - أنصار تطوير الفصحى.

٢ - أنصار تبني العامية بديلاً للفصحى.

تزعّم الدكتور محمد كامل حسين أنصار تطوير الفصحى إلى ما يسمى بالفصحى المخففة - كنموذج جديد - أو الدعوة إلى التزام الواقع اللغوي، بينما ذهب سلامة موسى في مقالاته إلى الدعوة بتبني العامية، أو إحلال الحروف اللاتينية محلها في الكتابة. وأظن أن هذه الدعوة لا تخلو من سوء الطوية إذ كانت ترى في العامية بديلاً للفصحى، وهو ما لا نقبله.

ولعلنا لا نتجاوز حدود الواقع إذا تراءى لنا أن ما قدمه الدكتور إبراهيم أنيس للدراسات اللغوية العربية والسامية يعد الأبرز والأنضج بين كل المحاولات

(١) د / شوقي ضيف، تجديد النحو العربي ٢٣: ١١

(٢) د / حلمي خليل، العربية وعلم اللغة البنيوي ٨٥، ٨٦

السابقة والمعاصرة له. فقد تناولت مؤلفاته كل مستويات الدراسة اللغوية من أصوات وصرف وتركيب ودلالة .

ففي كتابه الأصوات اللغوية (١) قدمت لأول مرة دراسة متكاملة للأصوات العربية ، أثبتت فيها مناهج البحث الحديثة ، ففرق فيه بين مصطلحي الفوناتيكي Phonetics والفونولوجي Phonology فيما يعد اتجاها وصفيا في دراسة الأصوات .

ويرى الدكتور إبراهيم أنيس أنه من العسير الفصل بين الفونولوجي والفوناتيكي على المستوى الوصفي ، فهما يتشابهان إلى حد بعيد ، ويبدو أنه يفضل عدم الفصل بينهما ، مع أن اللغويين المعاصرين يعرفون الفونولوجي بأنه علم يعنى بدراسة البنية الصوتية للغة ما وتصنيف تلك الأصوات حسب وظيفتها .

إن معالجة الدكتور إبراهيم أنيس للأصوات اللغوية سارت وفق منهج الدراسات الحديثة، واتسمت بالوضوح والشمول ، ولم يكن كتابه في اللهجات العربية أقل حظا مما سبقه- رغم بعض التحفظات التي أحاطت به وربطته بدعاة العامية ، وهو في رأينا دراسة جادة للجهات - فقد اتبع فيه أحدث النظريات العلمية في دراسة اللهجات ، واستعرض فيه المستويات الفونولوجية والمورفولوجية والنحوية والدلالية للهجات العربية ، وتعد دراسة الدكتور إبراهيم أنيس لقضية المعنى في كتابه دلالة الألفاظ أول دراسة مستقلة باللغة العربية لقضية الدلالة، باعتبارها الهدف المحوري والنهائي لتحليل اللغوي . وقسمت الدلالة في هذا الكتاب إلى أربعة أنواع: (١)

٣- دلالة نحوية

١- دلالة صوتية

(١) د/ إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية ٤ ، ٥

(٢) د/ إبراهيم أنيس، دلالة الألفاظ ٤٦ : ٥١ ، ١٠٦ ..

٢- دلالة صرفية ٤- دلالة معجمية / اجتماعية .

وتناول فيه فضلاً عن ذلك قضية العلاقة بين اللفظ والمعنى، وقوانين التطور الدلالي .

وعقب ذلك جاء جيل ثان من الرواد، يتسبون إلى المدرسة اللغوية اللندنية، فكان لهم جهود أخرى أثرت الدراسة اللغوية العربية في النصف الثاني من القرن العشرين -هم: الدكتور عبد الرحمن أيوب ، والدكتور تمام حسان ، والدكتور كمال بشر والدكتور محمود السمران - برغم اختلاف تناولهم للنظرية اللغوية الحديثة بين الوصفية والبنوية والنظرية اللغوية الحديثة .

إلا أنه يمكن التمييز بين توجهاتهم - حسب رأى الدكتور حلمي خليل - إلى تيارات ثلاثة (١) .

١ - الوصفية ونقد التراث

ظهرت بوادر هذا الاتجاه النقدي المباشر في كتاب "دراسات نقدية في النحو العربي" للدكتور عبد الرحمن أيوب تبنى فيه وجهة النظر الأوروبية الحديثة السوسورية في مقابل الدراسات العربية القديمة التقليدية للغة.

ويستند الدكتور أيوب في نقده على مبدأ الإحلال ، حيث يعتمد على استخدام منهج التحليل الشكلي بدلاً من منهج التحليل الجزئي للغة (أي - المنهج السائد قبل ذلك) .

(١) لمزيد من التفصيل انظر : د/عبد الرحمن أيوب ، دراسات نقدية في النحو العربي - الانجلو المصرية د/ تمام حسان ، اللغة العربية معناها ومبناها. اللغة بين المعيارية والوصفية، د/كمال بشر ، دراسات في علم اللغة ، د/حلمي خليل ، العربية وعلم اللغة البنيوي ١٦٧: ٢٤٦

وبالتالي فإن منهجه اللغوي ينهض على دعامتين هما :

١- الوصفية الشكلية

٢- الموضوعية

وهما الدعامتان التي تفتقدتهما الدراسات التقليدية .

والتحليل البنيوي الذي يعد قاسماً مشتركاً بين معظم المدارس اللغوية الحديثة، يتوسل بآليات التحليل إلى أصغر عنصر لغوي (الفونيم) بحثاً عن الشبكة العلاقية التي تنتظم أجزاء الكل ، وتوزع عناصر الجملة طبقاً لوظيفتها .

إن مذهب الدكتور أيوب يرفض المعيار الدلالي في تقسيم الكلام، كما رفض علل البناء و الإعراب التي تقوم على مبدأ القوة والضعف، واعتمد منهجه الشكلي في التقسيم، والذي بنى على أساس وظائف العناصر اللغوية، ويرى أيضاً أنه ينبغي الفصل بين الجملة كأمراً واقعي والجملة كنموذج قياسي للجملة الواقعية .

ومع أن هذه الدراسات أفادت التفكير اللغوي العربي المعاصر وأفادت من التفكير اللغوي الكلاسيكي ، إلا أنها اكتفت بالنقد ، ولم تقدم بديلاً حقيقياً وتطبيقياً يرقى به إلى مستوى النظريات الدقيقة والمضبوطة .

ويكتمل هذا التيار الوصفي والنقدي بدراسة الدكتور تمام حسان في كتابه اللغة بين المعيارية والوصفية فكما يتضح من عنوان الكتاب، يميل الدكتور تمام إلى نعت الدراسات اللغوية القديمة بالمعيارية Perspective في مواجهة المنهج الذي يتبناه ويدعو إليه ، وهو الوصفية Descriptive.

فالفكر اللغوي العربي القديم حسب رأي الدكتور تمام ينقسم إلى

مجموعتين :

١- المجموعة الوصفية : يمثلها كتاب سيويه ، وكتابا عبد القاهر الجرجاني دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة.

٢- المجموعة المعيارية : يمثلها جميع كتب النحو والصرف والبلاغة.

وقد ميز الدكتور تمام بين استعمال اللغة كوظيفة للمتكلم ، والبحث اللغوي كوظيفة لعالم اللغة الذي يعتمد على استقرار الظاهرة لوصف الواقع اللغوي .

والمعيارية في مفهومه بإيجاز هي الاعتماد على القياس والتعليل في حالة الثبات اللغوي مع إغفال الحقيقة الاجتماعية في تحليل اللغة .

تطبيق :

في قوله تعالى (إذا السماء انشقت)

إذا قلنا إن هناك فعلاً محذوفاً يفسره الفعل الموجود

هل يُعد هذا التفسير من الوصفية ؟ .. بالطبع لا

لماذا ؟

لأن التقدير النحوي هنا لا سند له ، وإنما هو محاولة لتبرير الحركة الإعرابية للحفاظ على القاعدة النحوية .

٢ - التحليل البنيوي

واكب هذا الاتجاه ظهور المنهج الوصفي في دراسة اللغة ، لأن معظم الوصفيين اتبعوا منهجاً بنيوياً في تحليل اللغة ، وأهم الكتب التي تناولت مستويات التحليل اللغوي مناهج البحث في اللغة للدكتور تمام حسان، وكتاب علم اللغة - مقدمة للقارئ العربي للدكتور محمود السمران .

فمستويات التحليل عند الدكتور تمام هي (١) :

- ١- مستوى الأصوات .
- ٢- مستوى التشكيل الصوتي (الفونولوجيا)
- ٣- مستوى الصرف .
- ٤- مستوى النحو
- ٥- مستوى المعجم
- ٦- مستوى الدلالة .

والفصل بين مستوى المعجم ومستوى الدلالة من أهم ما يميز منهج الدكتور تمام حسان عن غيره ممن اعتبروا أن الدراسة المعجمية ذات صلة قوية بالدراسة الدلالية .

أما كتاب الدكتور محمود السمران فيتميز بالبساطة والوضوح، اهتم فيه صاحبة بالإطار التاريخي لعرض أصول النظرية الوصفية البنيوية، فهو يرى أن اللغة كظاهرة اجتماعية تحتاج إلى علم الاجتماع وعلم النفس وعلم التشريح وعلم وظائف الأعضاء وعلمي التاريخ والجغرافيا.

وهذه العلوم لا تنتقص أبداً من أهمية دراسة اللغة موضوعياً، ولا مانع من وجود نظرة فلسفية في اللغة شريطة أن تكون مستمدة من داخل اللغة حتى لا تُفقد علم اللغة استقلاله وموضوعيته .

٣ - تطبيق النظرية اللغوية الحديثة :

يعد كتاب الدكتور تمام حسان اللغة العربية معناها ومبناها هو المحاولة

(١) انظر: د / تمام حسان ، العربية معناها ومبناها ٢١ وما بعدها .

الوحيدة الجادة والمتكاملة لتطبيق نظرية السياق التي طرحها فيرث على اللغة العربية.

ويوصف هذا العمل بأنه إعادة تقويم للدراسات السابقة ، وإعادة ترتيب لأبواب النحو والصرف التقليدي ، أما إذا قيس هذا العمل بما قدمه سيويه فإننا نستطيع القول بأن سيويه وضع أصول النظرية اللغوية في استعمال محدد هو كلام العرب في زمن معين ، ولدى قبائل معينة . بينما يعد تناول الدكتور تمام حسان محاولة تطبيق معطيات علم اللغة الحديث على الدراسات التقليدية السابقة .

وموجز ما عرضه الدكتور تمام حسان في كتابه يوضح أهمية المعنى في دراسة اللغة سواء أكانت فصحي أم عامية ، وكيف يرتبط المعنى بالشكل أو المبنى ، وهو بهذا يعارض المدرسة الشكلية التوزيعية التي يقوم تحليلها على أساس شكلي خالص .

وتتوالى الأجيال وتتعدد الدراسات اللغوية في العالم العربي في اتجاهات شتى بعضها يساير آراء المدرسة الوصفية ، ويتبنى بعضها الآخر مبادئ البنيوية ، ويوغل آخرون في تبني نظريات تشومسكي أو غيره من أصحاب النظريات اللغوية المعاصرة ، ومن العسير أن يحكم المرء كشاهد عصر على التطورات المتلاحقة في مجال تسارع فيه الخطى وتتوزعه الاتجاهات إلا بعد تأن ودراسة قد تستهلك ما بقي لديه من رغبة في المعرفة .

خامسا : الخاتمة

ويمكننا بعد هذا العرض الموجز للقضايا التي عالجها البحث أن نطل في عجالة على أهم الملاحظات والنتائج التي توصلت إليها الدراسة التي بين أيدينا دون إسراف في العرض أو افتتاحات على ما قدمته البحوث الأخرى من ملاحظات قيمة :

- ١- أثبت البحث أن مسألة تعدد المصطلحات اللغوية لمفهوم واحد أو العكس تمثل ظاهرة تضرب بجنورها في التراث اللغوي العربي، وتمتد حتى الدراسات اللغوية المعاصرة في أوروبا والعالم العربي، وهي تمثل حجر عثرة في طريق البحث اللغوي نتيجة تداخل المفاهيم وتمكن اللبس.
- ٢- تشير الدراسة إلى أن المصطلحات اللغوية العربية والغربية قد خرجت من عباءة الفلسفة والمنطق قديما، ولم تعرف هذه المصطلحات طريقا لتحديد مفهومها من داخلها إلا مؤخرا.
- ٣- أثبتت الدراسة تأثير الكشوف الأثرية على تطوير علم اللغة في أوروبا وأمريكا، ودور المؤلفات السنسكريتية في النحو واللغة على دراسة اللغة وصفا بعد أن استقر المنهج التاريخي المقارن لحقبة طويلة من الزمن.
- ٤- تابع الباحث عن كذب وقوع الدراسات اللغوية المقارنة تحت تأثير القيد الدعائي الذي أكد أن العبرية هي أم لغات العالم، ثم انطلاق هذه الدراسات اللغوية بعد التخلص من سطوة هذه الفكرة الزائفة بتصنيف العبرية ضمن أسرة اللغات السامية.

- ٥- أثبت البحث أن نظرية تشومسكي النموذجية قد قامت في بادئ الأمر على أساس نقد المدارس اللغوية السابقة والمعاصرة لها، حتى توصل مؤسسها إلى بناء هيكل النظرية الذي يعتمد على المنطق العقلي والرياضي.
- ٦- أثبتت الدراسة أن نظرية تشومسكي النموذجية أو الموسعة ليست النظريات المثلى في معالجة النحو العام للغات المختلفة، أي أنها تناسب بعض اللغات ولا تناسب غيرها.
- ٧- أثبت البحث أن نظريات تشومسكي: ترجع في كثير من أصولها ومبادئها إلى أفكار وفرضيات المدارس اللغوية والفلسفية الأخرى، والتي استطاع تشومسكي استثمارها في رفق نظريته بأفكار متكاملة حول اللغة .
- ٨- لاحظ الباحث ثمة دوراً أساسياً لعلمي الاجتماع والأنثروبولوجي على تطور علم اللغة، وأن هناك دوراً لا يمكن تجاهله لعلوم الحاسب الآلي في الإفادة من منجزات علم اللغة لإنجاز الترجمة الآلية والعكس بالعكس ، كما استفاد علم اللغة بفروعه المختلفة من التقدم التكنولوجي باستخدام أحدث الآلات لرصد التغيرات الصوتية .
- بعد هذا العرض لموضوع تطور علم اللغة واتجاهاته المعاصرة ، أمل أن يكون التوفيق حليفي في اقتراح وتناول عناصر البحث بصورة بناءة ومفيدة .
- والله من وراء القصد ، والسلام عليكم ورحمة الله .

المؤلف

سادسا: ثبت المصادر والمراجع:

* المصادر والمراجع باللغة العربية :

- د/ إبراهيم أنيس من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، ط ٧ ، ١٩٩٤ م.
- دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة ط ٣ ، ١٩٧٦ م.
- إبراهيم مصطفى ، إحياء النحو، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٧ م.
- إدريس نقورى ، مدخل إلى علم الاصطلاح، مطبعة النجاح الدار البيضاء، ط ١، ١٩٩٧ م.
- إميل دوركايم، قواعد المنهج في علم الاجتماع، ترجمة: د/ محمود قاسم، مكتبة النهضة المصرية ١٩٦١ م.
- ابن الأنباري (أبو البركات) نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق: محمد إبراهيم أبو الفضل، دار نهضة مصر .
- ابن جنى (أبو الفتح عثمان) الخصائص ، تحقيق: محمد على النجار ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٨ م .
- سر صناعة الإعراب، تحقيق د/ حسين هنداوى، دار العلم، دمشق . ط ١ ، ١٩٨٥ م.
- ابن خلدون (عبد الرحمن) مقدمة ابن خلدون، دار الفكر ، القاهرة . د.ت.
- ابن السراج (محمد بن سهل) الأصول في النحو، تحقيق د/ عبد الحين الفتلى مؤسسة الرسالة ، بيروت، ط ٢ ، ١٩٨٧ م.
- ابن فارس (أبو الحسن أحمد) الصحاحي في اللغة، تحقيق: السيد صقر مصر . د.ت .

- ابن مضاء القرطبي الرد على النحاة ، تحقيق د/ شوقي ضيف دار المعارف . ١٩٨٨ م .
- ابن التميم (محمد بن اسحق) ، الفهرست، دار المعرفة ، بيروت - لبنان د.ت
- د/ أحمد مختار عمر ، البحث اللغوي عند العرب، عالم الكتب، ط. ٤ . ١٩٨٢ م .
- برجشتراسر (جوتهالف) التطور النحوي للغة العربية، نقلها د/ رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي والرفاعي القاهرة ١٩٨٢ م .
- د/ تمام حسان ، اللغة العربية بين المعيارية والوصفية دار الثقافة ، الدار البيضاء ، المغرب . ١٩٩٢ م
- ، الأصول ، دار الثقافة ، الدار البيضاء . المغرب .
- ، العربية معناها ومبناها ، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، المغرب ١٩٩٤ م .
- الثعالبي (أبى منصور) ، فقه اللغة وسر العربية ، منشورات دار مكتبة الحياة ، لبنان د.ت .
- جفرى سامسون مدارس اللسانيات التسابق والتطور ، ترجمة : د/ محمد زياد كبه ، جامعة الملك سعود - الرياض السعودية . ١٩٩٧ م
- جودث جرير ، علم اللغة النفسي : تشومسكى وعلم النفس، ترجمة وتعليق د. مصطفى التونسي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب . ١٩٩٣ م
- جورج سارتون ، تاريخ العلم ، ترجمة الأستاذ / محمد خلف الله وآخرون ، دار المعارف ، ط-٤ . ١٩٧٩ م

- جورج لايكوف ومارك ، الاستعارات التي نحيا بها ، ترجمة : عبد المجيد
جونسن ————— جحفة ، دار توبقال للنشر ، ط . ١ . ١٩٩٦ م
- جورج مورنين علم اللغة في القرن العشرين ، ترجمة : د/ نجيب
غزاوي ، الجمهورية العربية السورية . ١٩٧٢ م
- جون سيرل ، تشومسكي والثورة اللغوية ، مجلة الفكر العربي .
١٩٧٩ م
- جون ليونز ، نظرية تشومسكي اللغوية ، ترجمة وتعليق
د/ حلمي خليل ، دار المعرفة الجامعية -
الإسكندرية ط . ١ . ١٩٨٥ م
- د/ حلمي خليل ، العربية وعلم اللغة البنيوي ، دار المعرفة الجامعية
، الإسكندرية ١٩٩٦ م
- حنفي بن عيسى ، محاضرات في علم النفس اللغوي ، الشركة الوطنية
للنشر والتوزيع ، الجزائر . ط . ٢ . ١٩٨٠ م
- د/ خليل عمايره في التحليل النحوي ، مكتبة المنار ، الزرقاء ،
الأردن . ط . ١ . ١٩٨٧ م .
- ر . هـ . روينز ، موجز تاريخ علم اللغة (في الغرب) ترجمة د/
أحمد عوض ، عالم المعرفة . الكويت . نوفمبر
١٩٩٧ م
- د/ زاكيه رشدي ، تاريخ الأدب السرياني ، دار الثقافة للطباعة
وأنحسرون والنشر ، القاهرة . د . ت
- الزجاجي ————— الإيضاح في علل النحو ، تحقيق د/ مازن المبارك ،
(أبو القاسم) دار النقائس ، بيروت ط . ٥ . ١٩٨٦ م
- ستيفن أولمان دور الكلمة في اللغة ، ترجمة د/ كمال بشر ، مكتبة
الشباب

الاتجاهات المعاصرة في تطور دراسة العلوم اللغوية

- د/ كمال بشر ، علم اللغة الاجتماعي، دار غريب للطباعة والتوزيع القاهرة د. ت .
- ماجد فخري أرسطو ، الأهلية للنشر والتوزيع بيروت ط. ٢. ١٩٧٧
- ماريو باي أسس علم اللغة ، ترجمة وتعليق : د/ أحمد مختار عمر ، عالم الكتب . ط ٣ ١٩٨٧ م .
- د/ محمد إبراهيم البنا السهيلي ومذهب النحوي ، دار البيان العربي ، جدة ، السعودية . ط ١ ١٩٨٥ م .
- محمد حسن عبدالعزيز ، مدخل إلى علم اللغة ، دار الفكر العربي القاهرة ١٩٩٨ م .
- محمد الحناش البنيوية في اللسانيات، الدار البيضاء ١٩٨٠ م
- د/ محمد عناني المصطلحات الأدبية الحديثة ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، لونغمان ١٩٩٧ م .
- محمد غالييم ، التوليد الدلالي في البلاغة والمعجم، دار تويقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ١٩٨٧ م .
- د/ محمود فهمي علم اللغة العربية ، مدخل تاريخي مقارنة في ضوء اللغات السامية ، دار الثقافة د. ت .
- ، البحث اللغوي، دار غريب للطباعة والتوزيع القاهرة د. ت .
- ، الأسس اللغوية لعلم المصطلح ، دار غريب ، القاهرة ١٩٩٣ م
- د/ مصطفى فهمي ، أمراض الكلام ، مكتبة النهضة المصرية .
- د/ مهدي المخزومي في النحو العربي قواعد وتطبيق ، مكتبة مصطفى البابي الحلبي . ط ١ ١٩٦٦ م .

- د/ ميشال زكريا الألسنية التوليدية التحويلية وقواعد اللغة العربية ،
المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ،
لبنان ١٩٨٣ م .
- ، الألسنية (علم اللغة الحديث) المبادئ والأعلام،
المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ،
لبنان .
- ناعوم تشومسكي المعرفة اللغوية طبيعتها وأصولها واستخدامها ترجمة
د/ محمد فتوح ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط .
١ ١٩٩٣ م
- د/ نايف خرما ، أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ، دار
المعرفة ، الكويت ، ١٩٧٩ م .
- د/ نبيل على ، العرب وعصر المعلومات، سلسلة عالم المعرفة
الكويت ، إبريل ، ١٩٩٤ م .

المصادر والمراجع باللغات الأجنبية

Bloomfield, Leonard, Language, London. George Allen and Unwin L.T. D. 1961.

Benjamin's Pub, John. Semantic Theories in Europe 1830 - 1930. bricite Nerlich, 1992.

Chomsky, Noam, Aspects of the theory of Syntax, The MIT press Cambridge 1976 (11) .

Crystal, Daved. Linguistics, Penguin Books 1968.

Fasold, R. the Sociolinguistics of Society: Introduction to Sociolinguistics (volume 1). Oxford: Blackwell . 1984.

Halliday, M.C. Intoch and Stevens, the Linguistic Science. and Language teaching ELBS edition , London 1975.

Labov, W. Sociolinguistics patterns . Oxford: Blackwell. 1972.

Lakoff, G. Linguistics and national Logic. 1972.

Lyons, Introduction to Theoretical Linguistics, Cambridge press, London. 1975 .

palmer, Leonard, Descriptive and Comparative Linguistics, London 1972.

Reichl, Karl, Englische Sprach- wissenschaft "Eine Bibliographie" Erich Schmidt verlag, Berlin 1993.

Robins, Ashort history of Linguistics, Longman, London 1967.

Robins, R H, General Linguistics, An Introductory Survey 3th Impression London 1960 .

Webster's Encyclopedic Unabridged Dictionary of the English Language, Dilithium press, New York 1994 .